الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

– قسم علم الاجتماع –

مطبوعة بيداغوجية في مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة

موجهة لطلبة السنة الثانية علم الاجتماع العام

إعداد الدكتورة: جازية غداوية

الموسم الجامعي: 2024/2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

– قسم علم الاجتماع –

مطبوعة بيداغوجية في مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة

موجهة لطلبة السنة الثانية علم الاجتماع العام

إعداد الدكتورة: جازية غداوية

الموسم الجامعي: 2024/2023

الفهرس

الفهرس

مقدمة

1. المحاضرة الأولى: مدخل عام لفهم النظرية السوسيولوجية 7

- **ماهية علم الاجتماع 7**
- **مفهوم النظرية 9**
- **مفهوم النظرية السوسيولوجية 14**
- **خصائص النظرية السوسيولوجية 18**
- **أهمية النظرية السوسيولوجية في علم الاجتماع 19**
- **عناصر النظرية السوسيولوجية 22**
- **موضوع النظرية السوسيولوجية 24**
- **تصنيف النظرية السوسيولوجية 25**
- **نماذج التفكير ما قبل النظرية السوسيولوجية 28**
- **الجذور الفكرية و الاجتماعية لنشأة النظرية السوسيولوجية 32**

2. المحاضرة الثانية: البدايات الأولى لنشأة النظرية السوسيولوجية 40

- **ابن خلدون 41**
- **أوجست كونت 43**
- **كارل ماركس 44**
- **هربت سبنسر 46**
- **إيميل دوركايم 48**
- **ماكس فيبر 51**

3. المحاضرة الثالثة: النظرية الوضعية عند أوجست كونت 55

4. المحاضرة الرابعة: النظرية الوظيفية – البنائية الوظيفية 62

5. المحاضرة الخامسة: البنيوية الوظيفية 71

6. المحاضرة السادسة: مساهمة مدرسة شيكاغو في النظرية السوسيولوجية 78

7. المحاضرة السابعة: النظرية التفاعلية الرمزية 91

8. المحاضرة الثامنة: الظاهراتية (الفينومينولوجيا) 97

9. المحاضرة التاسعة: الإثنو ميتودولوجيا 102

10. المحاضرة العاشرة: نظرية ما بعد الحداثة 107

خاتمة

المراجع

الملاحق

مقدمة:

علم الاجتماع يصنف على أنه علم الكلاسيكي انطلق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد **أوغست كونت و إيميل دوركايم و ماكس فيبر**، و انطلاقا من القرن العشرين ظهرت مرحلة جديدة في علم الاجتماع ليتحول من علم النظري إلى علم تطبيقي خاصة بعد مساهمة **مدرسة شيكاغو** التي انبثقت عنها عدة اتجاهات نظرية حديثة، وعرفت هذه المرحلة بعلم الاجتماع المعاصر أين ظهرت **النظريات السوسيولوجية الحديثة** التي حاولت تقديم تفسيرات حول المجتمع و الظواهر الاجتماعية في الواقع الاجتماعي.

وسنحاول من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية التطرق إلى كل الجوانب المتعلقة بمقياس "**النظريات السوسيولوجية الحديثة**" في شكل محاضرات موجهة لطلبة **السنة الثانية علم الاجتماع**، و ذلك اعتمادا على برنامج مواءمة عروض التكوين حسب ما تم تصنيفه من قبل الوزارة، و ذلك من أجل مساعدة الطالب على فهم و تحليل النظريات السوسيولوجية الحديثة في علم الاجتماع و تزويده بالمعارف الضرورية المتعلقة بالمقياس، و ذلك بالخوض في السياق التاريخي لهذه النظريات و عوامل نشوؤها و كذا المفاهيم التي تقوم عليها و الإطار المنهجي الذي اعتمدته هذه النظريات في تفسير و تحليل الظواهر الاجتماعية و فهم المجتمع.

و إلماما بالمقياس تم توزيع محتوى المطبوعة على مجموعة من المحاضرات تتناول عدة مواضيع و مسائل هامة انطلاق من مفهوم النظرية و أهم العناصر المكونة لها، مرورا بالنماذج التي ظهرت ما قبل النظرية السوسيولوجية في علم الاجتماع والجذور الفكرية و الاجتماعية لنشأة النظرية السوسيولوجية مع البدايات الأولى لظهور النظرية السوسيولوجية، ثم الشروع في تقديم عرض مفصل لمختلف النظريات السوسيولوجية

الحديثة المقررة في البرنامج حتى يتمكن الطالب من فهم المبادئ التي تقوم عليها النظرية السوسيولوجية بصفة عامة و تكوين رؤية نظرية واضحة عن علم الاجتماع بفهم مختلف التحليلات و الرؤى التي جاءت بها هذه النظريات في فهم و تفسير المجتمع و ظواهره والواقع الاجتماعي.

1. المحاضرة الأولى: مدخل عام لفهم النظرية السوسيولوجية

- **ماهية علم الاجتماع:**

يعتبر علم الاجتماع من العلوم المهمة التي جاءت لدراسة و فهم المجتمع، و هو العلم الذي يعنى بالدراسة العلمية للعلاقات التي تقوم بين الناس و ما يترتب على هذه العلاقات من آثار [1]، كذلك هو العلم الذي يسهم في فهم الحياة الاجتماعية و العلاقات والنظم و الفاعليات التي تنتظم بموجبها البنية الاجتماعية و الوظيفية للمجتمع، كما ويعتبر علم الاجتماع من العلوم التي تهتم بدراسة السلوك الاجتماعي لمختلف النشاطات البشرية، و هذه النشاطات لا يمكن فصلها عن المناخ التاريخي والسياسي و الاقتصادي و الثقافي العام المرتبط بمجمل التطور الاجتماعي البشري، بحيث تشير العديد من المرجعيات إلى أن علم الاجتماع هو في جوهره و في توافق تاريخ تطوره مع تاريخ الفلسفة والعلوم و المعارف الإنسانية و المعطيات الدينية.

فمما لا شك فيه أن العلوم لا تنشأ أبدا مرة واحدة و إنما تتدرج و تتطور في النشأة، فعلم الاجتماع على الرغم من أنه يعتبر من أحدث العلوم ظهورا كعلم مستقل بذاته غير أنه يمكن القول بأن تفكير الإنسان في المجتمع و ما يحيط به من وقائع و مشكلات هو تفكير قديم يرجع في قدمه إلى ظهور الإنسان نفسه، إلا أن هذا التفكير بحكم اتصاله بالمجتمع و بالإنسان كانت تغلب عليه دائما النواحي الشخصية و التخمينية و الفلسفية، كما و كانت تغلب عليه وجهة النظر الغائية و النظر إلى

[1]. محمد محمود الجوهري: المدخل إلى علم الاجتماع، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، ط 1، 2010، ص 13.

المثل العليا المراد تحقيقها للإنسان و للمجتمع، و كان كل هذا يبعد هذا التفكير عن الصفات الهامة التي تجعل منه تفكيرا علميا.[1]

لهذا ظهرت نماذج نظرية للتفكير الاجتماعي قبل ظهور النظرية السوسيولوجية الحديثة حاولت فهم و تفسير المجتمع و ظواهره من خلال تحليلات و رؤى و تصورات والتي يمكن القول عنها أنها كانت البوادر الأولى لظهور التفكير الاجتماعي، غير أن هذه النماذج لا يمكن القول عنها بأنها نظريات قائمة بذاتها عدى كونها تفسيرات و محاولات تأملية و فلسفية ينقصها الجانب المنهجي العلمي و التجريبي الموضوعي، لهذا فإن علم الاجتماع بمفهومه العام هو العلم الذي يدرس الظواهر الاجتماعية في ضوء المقاربة العلمية الموضوعية المنهجية للنظرية السوسيولوجية.

فما هي النظرية السوسيولوجية و ما هو السياق التاريخي و الفكري لظهورها و ما هي أهميتها بالنسبة لعلم الاجتماع؟

[1]. لطفي عبد الحميد: علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981، ص195.

- **مفهوم النظرية:**

يرتبط مفهوم النظرية بمفهوم **العلم**، فالعلم يتميز بجملة من السمات و الخصائص التي تحدد طبيعة هذا العلم و هويته، فالعلم الحديث يجب أن تتوفر له نظرية أو مجموعة من النظريات أو النماذج التصورية التي تحدد و توجه جهود الباحث نحو تحقيق أهداف هذا العلم.[1]

لهذا ليس من الممكن فهم معنى النظرية و دورها في العلم دون أن نفهم أولا معنى العلم والمعرفة العلمية، فالعلم هو مجموع المعارف الإنسانية القائمة على التجربة و الملاحظة الحسية بهدف الوصول إلى قوانين تحكمها، و يمكن القول بأن **المعرفة** بصفة عامة عبارة عن نسق من المعاني و المعتقدات و الأحكام و المفاهيم و التصورات الفكرية التي يكونها الإنسان عن أي جانب من جوانب الكون الذي نعيش فيه. أما **المعرفة العلمية** هي تلك المعرفة التي اكتسبها الإنسان من خلال محاولاته الدائمة للسيطرة على الطبيعة بجوانبها الفيزيقية و البيولوجية و الاجتماعية و إخضاعها لإرادته عن طريق عمله الجماعي و التي مكنته بدورها من التنبؤ بالظواهر المختلفة و التحكم فيها. [2]

و تتكون المعرفة العلمية من جانبين هامين هما **الجانبي الحسي** أو ما يعرف بالمعرفة الحسية التي تعتمد على الخبرة الحسية، و **الجانب العقلي** أو ما يعرف بالمعرفة العقلية أو المجردة و التي تعتمد على العقل و المنطق. و يمثل هذان الجانبان حلقتين متصلتين في سلسلة المعرفة العلمية و من خلال تفاعلهما يتطور العلم و المعرفة. [3]

---

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن: علم الاجتماع النشأة و التطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 99.

[2]. سمير نعيم أحمد: النظرية في علم الاجتماع: دراسة نقدية، دار الهاني للطباعة و النشر، مصر، 2006، ص 19.

[3]. نفس المرجع، ص 26.

و تجدر الإشارة إلى أن **العلم** هو جزء لا يتجزأ من **النظرية**، فكل العلوم تطورت بتطور النظريات، و يمكن القول بأن النظرية هي ذلك الإطار الفكري الذي يفسر مجموعة الحقائق العلمية ويضعها في نسق علمي مترابط، و هي تقوم على مجموعة من المفاهيم و التعريفات و الافتراضات، المبنية أساسا على المستوى الفكري التجريدي المرتبط بالجانب الحدسي و التخميني. فهي بشكل عام تعبر عن نسق من المعرفة المعممة تفسر الجوانب المختلفة للواقع و هي تمثل أعلى درجة من درجات التجريد و التعميم في العلم. [1]

أما عن أهمية النظرية بالنسبة إلى العلم فإنها تمثل البوصلة التي يعتمد عليها الباحث للوصول إلى الحقيقة، فهي الدليل الذي يوجه الباحث في البحث على اعتبار أنها نسق منظم من المعلومات التي تسمح للباحث بأن ينطلق منها لفهم و وضع صياغات جديدة و تفسيرات أكثر عمق و عمومية. [2]

و بهذا نفهم بأن للنظرية دور أساسي في البحث العلمي و في تحديد هوية أي علم من العلوم، لدرجة أن العديد من الباحثين منحوها دورا أكثر أهمية من دور المنهج العلمي، على اعتبار أن هذا الأخير مشاع و معروف بين كل العلوم أما النظرية فهي التي تحدد موضوع العلم و تنظم عملياته وأدواره و مساره.

و يمكن تقديم مجموعة من التعريفات المتفق عليها حول مفهوم النظرية العلمية على أنها نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة، يحوي أي نسق إطارا تصوريا و مفهومات و قضايا نظرية توضح العلاقات بين الوقائع وتنظيمها بطريقة دالة و ذات معنى، كما أنها

---

[1]. نفس المرجع، ص 31.

[2]. موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية، تر: بوزيد صحراوي، كمال بو شرف، سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004، ص55.

ذات بعد إمبريقي بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته و ذات توجيه تنبؤي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة و لو من خلال تعميمات احتمالية.[1]

و هي أيضا نسق استنباطي استقرائي وتجريدي تتكون من مفاهيم وتعريفات وقضايا و الحقائق المجردة و المنطقية يمكن أن تقدم لنا وجهة نظر منظمة و متسقة حول ظاهرة معينة و ذلك بتحديد العلاقة بين الظواهر و المتغيرات بهدف تفسير الظواهر و التنبؤ بها.

و حسب **موريس أنجرس** فالنظرية هي: مجموعة من المصطلحات و التعاريف والافتراضات التي لها علاقة ببعضها البعض و التي تقترح رؤية منظمة للظاهرة و ذلك بهدف عرضها و التنبؤ بمظاهرها.[2]

و هناك عدد من التعاريف التي قد تمزج بين كل من النظرية **Theory** أو النموذج **Model**، مثل تعريف **ديفيد ويلر** .**Willer D** الذي يحدد النموذج على أنه تصور لمجموعة من الظواهر يتم تكوينه على أساس عقلاني و يكون هدفه تزويد النسق الصوري – الذي يتحول إلى نظرية بعد تحقيقه – بالحدود و العلاقات و القضايا.

كما يرى كل من **روزنتال Rosental و يادين Yudin** بأن النظرية هي نسق معقد من المعرفة التعميمية و تفسير للجوانب المختلفة للواقع.[3]

و بناء على ما سبق يمكن القول بأن النظرية هي مجموعة من القضايا و الحقائق المجردة والمنطقية تعبر عن جزء من الحقيقة و المعرفة العلمية التي تأتي في شكل مجموعة القواعد و القوانين و العمليات السببية تحاول تفسير العلاقات بين الظواهر في إطار سياق اجتماعي معين.

---

[1]. عبد الباسط عبد المعطي: اتجاهات نظرية في علم الاجتماع، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 10.

[2]. موريس أنجرس، مرجع سابق، ص54.

[3]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 102.

- **أبعاد النظرية:**

إذا وقفنا عند أبعاد النظرية فنرى بأنها تتشكل من ثلاثة أبعاد أساسية تتمثل في: [1]

- الشكل أو البناء المنطقي.
- المضمون أي التعميمات المتعلقة بطبيعة الظواهر التي تدرسها.
- الافتراضات المتعلقة بالمنهج الذي يستخدم في جمع الوقائع و طبيعة المادة التي يدرسها العلم.

و أي نظرية من ناحية الشكل تتكون من مجموعة من القضايا تتسق كل منها مع الأخرى وتنتظم بشكل معين يسمح باشتقاق تعميمات منها بطريقة استنباطية، كما تسمح باستكشاف الطريق لملاحظات أبعد مدى و تعميمات تنمي مجال المعرفة.

- **شروط النظرية:**

أما إذا وقفنا أمام أهم شروط النظرية العلمية فنجد أنه ينبغي أن تتوفر على جملة من الشروط الأساسية و المتمثلة في: [2]

- أن تكون مكونات النظرية واضحة و دقيقة محددة الألفاظ و المعاني و المضامين.
- أن تعبر عما تشتمل عليه بإيجاز يوضح محتواها و أغراضها و أهداف مكوناتها.
- أن تكون شاملة بحيث تشمل معظم الجوانب المكونة للنظرية بما في ذلك وصف وتحليل و تفسير الحقائق العلمية.

---

[1]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 31- 32.

[2]. عبد الباسط عبد المعطي، مرجع سابق، ص 11 - 12.

- أن تكون متفردة في موضوعها و مشروعها التفسيري، بحيث لا بد أن يكون للنظرية موضوع وإطار تفسيري خاص بها حتى لا تتداخل مع نظرية أخرى لأن ذلك سيضعفها و يجعلها تكرارا لا مبرر لها.

- أن تستمد النظرية إطارها المرجعي و التفسيري من حقائق و ملاحظات و دراسات واقعية يمكن اختبارها علميا، فالنظرية التي تأتي بقضايا يصعب اختبارها لا تعد نظرية علمية.

- القدرة على التنبؤ بحيث ينبغي أن لا تتوقف النظرية على مستوى التحليل والتفسير والوصف لأن ذلك سيجعل منها نظرية ناقصة، لأن قدرتها على التنبؤ تزيد من قوتها وتجعلها قادرة على مساعدة العلم كي يقوم بدوره المجتمعي الإنساني.

- **وظائف النظرية:**

أما عن وظائف النظرية العلمية فيمكن إيجازها في النقاط التالية: [1]

– تعمل النظرية على تحديد هوية أي علم و تحديد موضوعاته الأساسية الأمر الذي يسهم في إبراز دوره المعرفي التراكمي، بحيث تعمل النظرية على تحديد الاتجاه الأساسي للعلم عن طريق تحديد نوع الوقائع التي ينبغي جمعها من الظاهرة المدروسة.

- تعتبر النظرية العلمية نقطة الانطلاق لدراسة أي ظاهرة بحيث تقدم للباحث الإطار التصوري الذي يسترشد به و يساعده عند جمعه للحقائق على تحديد الأبعاد و العلاقات التي يدرسها من خلال مساعدته على جمع المعطيات العلمية و تنظيمها و تصنيفها وتحديد العلاقات التي تربطها و إرشاده إلى نوعية الوقائع التي يتعين عليه جمعها، بمعنى أنها تمنح للباحث السياق العلمي الذي سيجري من خلاله البحث.

[1]. نفس المرجع، ص 13.

- تعمل النظرية على تلخيص الوقائع وتلخيص العلاقات بينها فكل القوانين والفروض و المفاهيم التي تتضمنها النظرية ما هي إلا تلخيصا و تكثيفا لمجموع الملاحظات التي توصل إليها العلماء.

- للنظرية العلمية أهمية بالغة في البحث العلمي، فهي تساهم في تحقيق القيمة العلمية للبحث العلمي من خلال جمع البيانات العلمية بحيث تكون الموجه الأساسي للبحث بتدعيم المعطيات وتفسير النتائج، إذ تؤكد خبرات البحث العلمي أن عملية جمع البيانات بلا نظرية موجهة قد يوصل الباحث إلى بيانات عديمة المعنى و الوظيفة.

- تقدم النظرية عددا كبيرا من المفاهيم و المصطلحات المجردة التي تتضمن خبرة اجتماعية وعلمية مميزة.

- تساعد النظرية العلمية على فهم الظواهر و الوقائع و بالتالي القدرة على التنبؤ بها مستقبلا، وهذا ما يساعد على حل المشكلات و محاولة إيجاد الحلول لأي ظاهرة ما.

- يمكن الاستفادة من النظريات من خلال تطبيقها في مختلف مجالات الحياة.

- تعمل النظرية على تحديد أوجه النقص في معرفتنا، فبحكم أن النظرية تلخص وتنظم المعرفة المكتسبة فإنها تساعدنا على التعرف على ما ينقصنا من معارف و ترشدنا نحو الجوانب التي ينبغي التركيز عليها في البحث العلمي.

- مفهوم النظرية السوسيولوجية:

يسعى علم الاجتماع نحو بناء نظريات اجتماعية تهتم بدراسة الحقل الاجتماعي وفهم الواقع الاجتماعي من خلال توجيه كل من الأبحاث و الدراسات السوسيولوجية التي تعنى بفهم و تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية المختلفة. و على هذا الأساس ظهرت عدة نظريات سوسيولوجية تباينت آراؤها و اختلفت تصوراتها النظرية بحسب الاختلافات الفكرية و الإيديولوجية و التصورات النظرية لأصحابها و روادها و مؤسسيها.

و رغم هذا الاختلاف إلا أنه لا يمكن أن يختلف اثنان حول أهمية النظرية السوسيولوجية وضرورتها و أهميتها بالنسبة للبحث الاجتماعي، كونها الموجه له في تفسير الظواهر و الحقائق الاجتماعية.

و لقد عرفت النظرية السوسيولوجية شأنها شأن نظريات العلوم الأخرى تطورا عرفت خلاله تنوعا في الحقل السوسيولوجي من النظريات الكلاسيكية إلى النظريات الحديثة، إلى المعاصرة، إلى نظريات ما بعد الحداثة و غيرها.

كما و تتفق النظرية السوسيولوجية مع غيرها من النظريات العلمية من حيث بنائها وشروطها ووظائفها، غير أنها قد تختلف من حيث المضمون و ما تحويه من تحليلات و تفسيرات في محتواها، فالنظرية السوسيولوجية تهدف إلى تقديم تفسيرات و تصورات عامة عن الحياة الاجتماعية من حيث تطورها و نشأتها و تغيرها و العلاقات بين جوانب الحيات المختلفة، لهذا يتضمن علم الاجتماع شأنه شأن العلوم الأخرى نظرية عامة ونظريات نوعية عن كل شكل من أشكال الحياة الاجتماعية. [1]

و لقد نشأت النظرية السوسيولوجية و تطورت منذ **منتصف القرن التاسع عشر** عندما بدأ ينظر للمجتمع على أنه كيان له وجود مستقل و أنه وحدة للتحليل يمكن استخدامها لتفسير الظواهر الاجتماعية.

و لقد اختلف علماء الاجتماع حول معنى النظرية السوسيولوجية كما و قد تعددت تعاريف النظرية السوسيولوجية و ارتبطت بكتابات علماء النظرية و المناهج و تصوراتهم حول مدلول النظرية السوسيولوجية.

[1]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 38.

و من أهم تعريفات النظرية نجد تعريف **نيكولا تيماشيف** الذي جاء مع نهاية الستينيات ليشير إلى أنها: مجموعة من القضايا التي يجب ان تتوافر فيها الشروط التالية: [1]

1. أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا **واضحة** و محددة بدقة.
2. يجب أن **تتسق** القضايا الواحدة مع الأخرى.
3. أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا **(الوصول إلى تعميمات)**.
4. أن تكون هذه القضايا **مثمرة** و تكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى و تعميمات تنمي مجال المعرفة.

و حسب **تماشيف** فإن النظرية الاجتماعية تدور حول عدة تساؤلات أساسية تتمثل في:[2]

- ماهية المجتمع و الثقافة؟
- ما هي الوحدات الأساسية التي ينبغي أن نحلل المجتمع و الثقافة إليها؟
- ما طبيعة العلاقة بين المجتمع و الثقافة و الشخصية؟
- ما العوامل التي تحدد حالة المجتمع و الثقافة و تغيرهما؟
- ما علم الاجتماع و ما مناهجه الملائمة؟

و يرى **كينلوش Kinloch** بأنها مجموعة من الافتراضات التي تهتم بالمجتمع والظواهر الاجتماعية.

أما **روبرت ميرتون** فيرى بأنها مجموعة من التصورات المترابطة منطقيا.

---

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 101.

[2]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 38- 39.

في حين يرى **تالكوت بارسونز** بأنها كيان من المفاهيم المترابطة منطقيا و مجموعة من القضايا المستندة و المتصلة بالحقائق الإمبريقية، و أنها مجموعة من القضايا العامة ذات العلاقة المنطقية التي تؤلف كيان النظرية، و أن قضايا النسق النظري يجب أن تكون لها مراجعها المتصلة الحقائق التجريبية أو الإمبريقية. [1]

و يرى **ثيودور أربيل** بأنها مجموعة مفاهيم مترابطة بشكل متسلسل و منظم هدفها بلورة قوانين الظاهرة الاجتماعية المدروسة.

و يعرفها كل من **جلاسير و ستراوس** بأنها استراتيجية بحثية تقدم نماذج من المفاهيم التي تساعد الباحث في الشرح و التفسير الاجتماعي للظواهر.

و يرى بعض علماء المناهج أمثال **براتويت R. Braithwaite** بأن النظرية تشمل على مجموعة من الفروض التي تكون نسقا استنباطيا، بمعنى أنها تنظم في ترتيب متتابع فيه بعض الفروض اللاحقة تلحق بعض الفروض المتقدمة. أي النظرية هي مجموعة القضايا أو الفروض على المستوى الأعلى مكانة المقدمات المنطقية و تكون فيه الفروض على المستوى الأدنى بمثابة نتائج لما يتقدمها من فروض. [2]

من خلال التعريفات السابقة نفهم بأن النظرية السوسيولوجية ترتكز على المفاهيم المجردة (المفهوم ليس شيء ملموس إنما يعبر عن أنماط السلوك الملاحظ مع الجماعات) و التصورات الفكرية المنطقية التي تساعد الباحث على الفهم و التحليل و التفسير عند دراسة المواضيع و القضايا والظواهر الاجتماعية، فهي الموجه العلمي للباحث في علم الاجتماع عندما يجري دراسة اجتماعية معينة، من

---

[1]. علي ليلة: بناء النظرية الاجتماعية: الافتراضات النظرية و العلاقة بالواقع الاجتماعي، المكتبة المصرية للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن، (بدون تاريخ)، ص 47.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 102.

خلال تحليلات تشمل **الماكرو والميكرو**، و هي تتسم بالموضوعية في دراسة الحقائق النظرية وتطبيقها إمبريقيا.

باختصار النظرية السوسيولوجية هي كل ما نعرفه من مفاهيم و حقائق و تعليمات وتفسيرات التي يمكن دراستها ميدانيا عن طريق البحث العلمي انطلاقا من الفروض التي يضعها الباحث والتي تستمد أساسا من النظرية، و التي سينزل بها الباحث الى الميدان على شكل متغيرات ثم مؤشرات ملموسة يقيس بها تلك المفاهيم المجردة على أرض الواقع من أجل اختبارها واقعيا للتحقق من صحة الفرضيات من عدمها و هذا من أجل الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها لتصل إلى مستوى القوانين أو النظريات.

- **خصائص النظرية السوسيولوجية:**

طرح عدد من علماء الاجتماع مجموعة من الخصائص العامة التي تكشف عن طبيعة ومكونات النظرية السوسيولوجية و وظائفها العامة و كذلك شروطها.

و يمكن توضيح ذلك بصورة موجزة كما يلي: [1]

- **مكونات النظرية السوسيولوجية:**

النظرية السوسيولوجية هي نسق استنباطي يتضمن مجموعة من الفروض التي تحتل مكانة للمقدمات و أخرى للنتائج التي يتوصل إليها، و هي تشمل المفاهيم، القضايا، القوانين و التعميمات.

[1]. نفس المرجع، ص 103 – 104.

- **شروط صياغة النظرية السوسيولوجية:**

يجب أن تكون النظرية واضحة و محددة و موجزة و الشاملة، و أن تكون مرنة وقابلة للتجديد و التطبيق و الاختبار و الممارسة و قادرة على التنبؤ العلمي.

- **خصائص النظرية السوسيولوجية:**

تعتبر النظرية بمثابة الإطار الفكري التصوري الذي يجمع الحقائق و المعرفة والنتائج المتوصل إليها بصورة يسهل عن طريقها إعادة دراستها أو تحليلها من أجل تطويرها أو تحديثها.

- **وظائف النظرية السوسيولوجية:**

للنظرية السوسيولوجية مجموعة من الوظائف بالنسبة للباحث و للبحث العلمي تتمثل في:

- ✓ تحديد نوع البيانات و تجريدها.
- ✓ تقديم الإطار التصوري لتنظيم و تصنيف الظواهر الاجتماعية المدروسة.
- ✓ الوصول إلى الحقائق و إصدار التعميمات.
- ✓ المساعدة على التنبؤ.
- ✓ تحقيق المزيد من المعرفة الإنسانية.

- **<u>أهمية النظرية السوسيولوجية في علم الاجتماع:</u>**

- إرساء قواعد المعرفة العلمية على حساب المعرفة العادية، بحيث يمكن الفصل من خلال النظرية سوسيولوجية بين ما هو علمي و ذلك عن طريق الفصل بين الأفكار المسبقة عن الظاهرة بالاعتماد على المفاهيم و المتغيرات و اسقاطها ميدانيا عن طريق التجربة و الملاحظة.

- تعمل النظرية السوسيولوجية على إبعاد الأفكار المسبقة و الأحكام القيمية من خلال البحث الميداني، البحث يعمل على فحص مفاهيم النظرية و اختبارها ميدانيا عن طريق الفروض للوصول الى النتائج بغية تأسيس نظريات جديدة.

- تصنيف و تنظيم الأحداث الاجتماعية بأسلوب متسلسل و تفسير الظواهر والأحداث الاجتماعية للتمكن من التنبؤ بها مستقبلا، فهي تسهم في التعميمات من أجل توقعها في المستقبل.

- تهدف النظرية السوسيولوجية إلى تطوير مفاهيم علم الاجتماع.

كما تعمل النظرية السوسيولوجية على تحقيق وظيفيتين أساسيتين بالنسبة للباحث في علم الاجتماع و هما **الوصف** و **التفسير** إضافة إلى وظائف أخرى تتمثل في: [1]

–**الوصف الدقيق للواقع (Prescription):** هو الخطوة الأولية التي ينبغي على الباحث اتباعها لغرض فهم الظاهرة المراد دراستها و ذلك بتوفير المعارف العلمية المتعلقة بالموضوع محل البحث و الدراسة، و يستخدم في البحوث الكيفية أو النوعية بالاعتماد على المنهج الكيفي.

و من خلال ذلك تحاول النظرية تقديم وصف للواقع من خلال ما تطرحه من مفاهيم و قضايا، ذلك لأن الوصف هو الوظيفة الأولى للنظرية فهو عملية يتم من خلالها رسم صورة واقعية عن الظاهرة و ذلك بالإجابة عن السؤال "**ماذا؟**"

و يتضمن الوصف عدة عمليات فرعية منها **التصنيف (Classification) والترتيب أو التسلسل (Seriating) و الارتباط (Correlation)**، فالتصنيف يتعلق باكتشاف الروابط بين الصفات و الخصائص و ترميزها بواسطة المفاهيم، أما الترتيب فهو يتجه إلى السمات و الخصائص

[1]. حسين إبراهيم عبد العظيم: النظرية السوسيولوجية: قراءة في فكر الرواد و الاتجاهات الكلاسيكية، مكتبة دار الأصول، بني سويف، مصر، 2017، ص 48 – 57.(بتصرف).

المشتركة بدرجات و مقادير يمكن ترتيبها، أما الارتباط فهو تعلق خاصيتين أو سمتين أو أكثر الواحدة بالأخرى وجودا أو انعداما نقصا أو زيادة.

-**التفسير العلمي للواقع (Interpretation)**: يجمع العديد من العلماء بأن وظيفة التفسير هي أكثر وظائف النظرية أهمية على أساس أنه الوظيفة الأساسية للعلم، غرضه تفسير و تحليل و قياس الظواهر المراد دراستها من أجل الوصول إلى نتائج يمكن تعميمها، و يكون ذلك في البحوث الكمية وبالاعتماد على المنهج الكمي.

و يمكن تعريفه بأنه البحث عن الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الظواهر و الكشف عن العلاقات التي تربط الظاهرة بغيرها من الظواهر، فالتفسير يكشف الدلالات العميقة الكامنة خلف المعطيات المرئية المباشرة و ذلك بالإجابة على السؤال **"لماذا؟"**.

-**التنبؤ (Predication)**: هو توقع الأحداث و النتائج قبل حصولها و ذلك بالانتقال من الحالات المعلومة إلى الحالات المجهولة التي لم يتم كشفها بعد، و هو يعتمد على القياس الدقيق والقدرة على ضبط المتغيرات و استخدام الأساليب الإحصائية. و يمكن اعتباره الحصاد الأخير لعمليتي الوصف و التفسير لأنه المعيار الأساسي لصحة القضايا العلمية لأنه يفيد في عملية الضبط و التحكم في الظواهر من أجل الاستفادة منها.

-**التحكم أو الضبط (Control)**: و يمثل الوظيفة النهائية للعلم فالتحكم يعني ضبط مسار الظاهرة وفق شروط معينة من أجل الاستفادة من ذلك بصورة تطبيقية

-**تحديد المجال الأساسي للعلم:** بحيث تحدد النظرية مجال دراسة كل علم كما تحدد نوع الحقائق التي ينبغي أن يتجه إليها الباحث في ميدان دراسته، و بدون النظرية تتداخل ميادين البحث بين

العلوم المختلفة، فالنظرية توجه تفكير الباحثين نحو الموضوعات التي تشكل عليها و يحاول الباحثون تطويرها.

-**الكشف عن قصور في المعرفة العلمية:** تحاول النظرية الكشف عن موضوعات لم يتم تناولها بعد و بالتالي فهي تحتاج إلى دراسات معمقة لفهمها و للكشف عن العلاقات التي تربطها بغيرها من الظواهر. لهذا فهي تفيد في الكشف عن نواحي القصور في المعرفة العلمية، و بذلك تفتح مجالات جديدة للدراسة و البحث، و قد توحي إلى فروض جديدة يمكن من خلال اختبارها و إضافة معرفة علمية جديدة تسهم في تطور العلم وتقدمه.

-**تقديم إطار تصوري للواقع:** تقدم النظرية تصورا محددا عن الظواهر التي تدرسها، و يساعد ذلك التصور الباحث على إدراك العلاقات القائمة بين الظواهر و يرشده نحو نوعية البيانات التي ينبغي عليه جمعها، بحيث يؤدي وجود الإطار التصوري إلى تنظيم المعرفة الإمبريقية في شكل أطر نظرية يمكن التعامل معها بسهولة.

- **عناصر النظرية السوسيولوجية:**

- **النموذج Paradigm :**

و هو بناء نظري قائم على أسس علمية يعبر عنه بمجموع المفاهيم القادرة على تفسير الظاهرة الاجتماعية، و يتمتع بدرجة عالية من التطور و النضج.

- **المفاهيم Concepts :**

يمثل المفهوم الوحدة الأولية التي تتشكل منها النظرية العلمية، فالنظرية تتكون من عدد هائل من المفهومات التي ترتبط مع بعضها بشكل متناسق على هيئة قضايا أو تعميمات. [1]

[1]. نفس المرجع، ص 39.

و المفهوم هو رمز لفظي يشير إلى أشياء معينة تم ملاحظتها في الواقع، و هو تمثيل مختصر لمجموعة من الحقائق بعد تجريدها من الوقائع الجزئية، فهو يشير إلى الظواهر و يحدد خصائصها الجوهرية على اعتبار أنه يعبر عن تصورات أو تجريدات ذهنية يضعها العلماء للتعبير عن أفكارهم حول الواقع و ظواهره. [1]

لهذا فالمفاهيم تمثل اللبنة الأساسية لبناء النظرية السوسيولوجية، فهي أساس بناء النظرية العلمية بصفة عامة، و يمكن تعريف المفهوم بأنه مصطلح يدل على معنى ويتضمن معناه عدة مستويات فإذا كان على المستوى المجرد نقول مفهوم أما إذا نزلنا نحو مستوى الواقع فيحمل معنى المؤشرات الملموسة امبريقيا، و هناك نوعين من المفاهيم حسب **تيرنز** إذ ميز بين نوعين يشملان **المفاهيم الوصفية والمفاهيم التحليلية.** [2]

و على العموم يمكن تعريف المفاهيم على أنها تلك التصورات المجردة الغير ملموسة المعبرة في مضمونها على نموذج من نماذج النظرية الاجتماعية، و نجدها في الإشكاليات التي يبنيها الباحث في إطار دراسة اجتماعية معينة.

- **القضايا Propositions :**

تشكل القضية الوحدة الثانية في بناء النظرية، و هي تعبير عن الواقع يتضمن مفهومين أو أكثر (سيتحولان فيما بعد إلى متغيرين) و العلاقة بينهما، و يمكن إخضاعها للبحث العلمي، و من ثمة فالقضية تعبر عن العلاقات بين المفاهيم لهذا قد يشار إليها في كثير من الأحيان بالفروض أي جوابا مؤقتا أو تعميما مبدئيا و احتماليا يخضع للاختبار الإمبريقي للتعرف على صدقه أو خطئه، و من ثمة فقد ينظر إلى النظرية على أنها مجموعة من الفروض. [3]

---

[1]. نفس المرجع، ص 40.

[2]. ابراهيم عيسى عثمان: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 20.

[3]. حسين إبراهيم عبد العظيم، مرجع سابق، ص 42.

- **المتغيرات Variables :**

و هي المستوى الثاني من المفاهيم و التي تتحدد في ضوئها في إطار العلاقة المنطقية التي تربط بين الظواهر الاجتماعية و التي تتكون على شكل فرضيات.

- **المؤشرات Indicateurs :**

و هي المستوى الثالث للمفاهيم و تكون ملموسة و نجدها في ميدان البحث والدراسة و يتم من خلالها قياس المفاهيم امبريقيا للتأكد من صحة الفروض المصاغة، و يكون ذلك من خلال مناهج وطرق بحث الملائمة للدراسة، ثم تأتي تحليل المادة الإمبريقية المجمعة من الميدان بواسطة تقنيات بحث إحصائية أو تحليلية من أجل تفسير نتائج المادة الإمبريقية بالرجوع إلى النظرية التي حددها الباحث كإطار مرجعي اعتمد عليه في بناء مفاهيمه و فروضه النظرية.

- **<u>موضوع النظرية السوسيولوجية</u>:**

موضوع علم الاجتماع هو فهم الظواهر الاجتماعية بصفة عامة كما هي موجودة في الواقع وهي تعتمد على الفعل الاجتماعي و النظام المجتمعي بمعنى أن المواضيع التي تتناولها النظرية السوسيولوجية ترتبط بـ :

- المجتمع.
- الفرد الاجتماعي (الشخصية).
- البناء و النظام الاجتماعي في كليته و شموليته و ديناميكيته و سكونه (الثقافة).
- الظواهر الاجتماعية (التغيير الاجتماعي).

- **تصنيف النظرية السوسيولوجية:**

تم تصنيف النظريات السوسيولوجية حسب المنظرين السوسيولوجيين لعلم الاجتماع وفق التصنيفات التالية: [1]

1. التصنيف على أساس البعد التاريخي:

يعتمد هذا التصنيف على ترتيب النظريات السوسيولوجية من خلال ظهورها من الناحية التاريخية وفقا للمراحل الزمنية التي ظهرت فيها، و هناك من قسمها إلى أربع مراحل، تتضمن **المرحلة الأولى** نظريات علماء الاجتماع الأوائل منذ نشأة علم الاجتماع سنة 1875 مثل: **نظريات أوغست كونت و هربت سبنسر و ماكس فيبر و مورجان ...**

أما **المرحلة الثانية** و التي تتحدد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر و تشمل مجموعة من النظريات و المدارس السوسيولوجية المتصارعة مثل **الداروينية الاجتماعية و السيكولوجية والتطورية الاقتصادية والتكنولوجية والديمغرافية، والمدرسة الاجتماعية عند دوركايم و النزعة الذاتية الروسية.**

في حين تمتد **المرحلة الثالثة** خلال الربع الأول من القرن العشرين و تتضمن مرحلة انقسام النظرية التطورية إلى أقسام فرعية لتشمل جوانب **اجتماعية و سيكولوجية ومثالية**، بحيث ركز أصحابها على ضرورة توجيه علم الاجتماع نحو البحث الميداني (الإمبريقي) و الاعتماد على الملاحظات و الشواهد الواقعية عند صياغة النظريات.

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 105 – 112. (بتصرف).

أما **المرحلة الرابعة** و الأخيرة في نهاية القرن العشرين أين تميزت بظهور مدارس واتجاهات حديثة مثل **الوضعية المحدثة، و الإيكولوجية البشرية و الاتجاه الوظيفي وعلم الاجتماع النظري والتاريخي و الفلسفي و القياس الاجتماعي** و مجموعة من **الاتجاهات العقلية و الإمبريقية.**

2. التصنيف على أساس البعد الجغرافي:

يعتمد هذا التصنيف على المناطق التي ظهرت فيها النظريات السوسيولوجية، ففي **فرنسا** نظريات **أوجست كونت و إيميل دوركايم**، و **ألمانيا** نظريات **كارل ماركس وماكس فيبر**، أما **بريطانيا** فنجد تحليلات **هربرت سبنسر**، و **الولايات المتحدة الأمريكية** نظريات **بارسونز** و غيره.

3. التصنيف على أساس المنهج:

يعتمد هذا التصنيف على الأبعاد المنهجية العلمية التي اعتمدتها النظريات السوسيولوجية في تحليلاتها، فهناك من قسمها إلى:

- **النظريات الوضعية** التي تعالج قضايا و موضوعات علم الاجتماع باعتبار أنه علما طبيعيا، وتشمل: النظريات الوضعية المحدثة، الوظيفية البنائية و السلوكية الاجتماعية، النظرية النفسية والبيولوجية، الأيكولوجية البشرية.
- **النظريات التفسيرية** التي تعتمد على التحليلات التي تتمسك بالقواعد المنهجية العامة للعلم، وتشمل: نظريات الفهم الثقافي، النظرية التفسيرية للفعل و التفاعل، النظرية الفينومينولوجيا.
- **النظريات التقويمية** التي تهدف إلى الربط بين علم الاجتماع و الفلسفة عن طريق استخدام أحكام القيمة و التكامل الثقافي.

4. التصنيف على أساس النماذج المستعارة من العلوم الأخرى:

يعتمد هذا التصنيف على إرجاع النظريات السوسيولوجية لتحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية في ضوء مفاهيم مستمدة من العلوم الأخرى مثل المدرسة الميكانيكية، والمدرسة البيولوجية و المدرسة السيكولوجية و المدرسة الإيكولوجية (الجغرافية).

5. التصنيف على أساس الأصول الفلسفية:

يعتمد هذا التصنيف على إرجاع النظريات السوسيولوجية إلى أصولها الفلسفية المتمثلة في:

- **المدرسة العضوية الوصفية** التي تمتد أصولها إلى الفلسفة المثالية عن اليونانيون القدامى ثم تبلورت على يد كل من **فرنسيس بيكون و دافيد هيوم و جون لوك و فولتير**.

- **مدرسة الصراع** التي تعود جذورها إلى الفلسفة اليونانية القديمة على يد الفيلسوف القديم **هيراقليطس** ثم تطورت أفكارها فيما بعد خلال العصور الوسطى و عصر التنوير وتحولت مع بداية القرن التاسع عشر إلى أفكار ثورية مع الماركسية.

- **الصورية أو الشكلية السوسيولوجية** و التي ارتبطت بالأصول الفلسفية العقلية عند الفلاسفة اليونانيين، ثم تبلورت على يد **كانط** الذي سعى نحو تخليص العلم من النزعة الشكية و تبنى النزعة العقلية التي تسعى نحو الربط بين الاتجاه العقلي و الواقعي الامبريقي في تفسير المعرفة. ثم تطورت خلال القرن التاسع عشر و التي تحولت إلى **الاتجاه الفينومينولوجي**.

- **السلوكية الاجتماعية** و التي ترجع إلى الفلسفة المثالية و البراجماتية و تعتمد على المدخل السلوكي في تفسير الظواهر الاجتماعية بالاعتماد على مناهج إمبريقية جديدة، وانقسمت إلى ثلاث مدارس فرعية تتمثل في السلوكية الجمعية، التفاعلية الرمزية، ونظرية الفعل الاجتماعي.

- **الوظيفية السوسيولوجية** و التي تعتمد على تحليلات رواد علم الاجتماع عند دراسة الأنساق والبناءات الاجتماعية باعتبارها وحدة للتحليل، عند كل ما **راد كليف براون، روبرت ميرتون، بارسونز، مالينوفيسكي و هومانز...**

6. التصنيف على أساس البعد السوسيولوجي:

يعتمد هذا التصنيف على استخدام المدخل السوسيولوجي لدراسة الظواهر الاجتماعية و ذلك عن طريق الابتعاد عن الذاتية و تحري الموضوعية، و من أهم نظريات هذا التصنيف: النظريات الإيكولوجية، السيكولوجية، التكنولوجية، البنائية الوظيفية، الصراعية، التفاعلية الرمزية، الفعل الاجتماعي...

7. التصنيف على أساس البعد اللإيديولوجي:

ارتبطت النظريات السوسيولوجية خلال النصف الثاني من القرن العشرين بطبيعة الإيديولوجية العالمية، لهذا فتم تصنيفها على أساس مدى تبنيها للاتجاه المحافظ الليبرالي أو الاتجاه الماركسي أو اتجاه الصراع.

- **نماذج التفكير ما قبل النظرية السوسيولوجية:**

كشفت طبيعة الفكر الاجتماعي الذي ظهر مع البدايات الأولى لظهور المجتمعات البشرية عن مدى تطور نمط التفكير نتيجة لمجموعة الظروف الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية، و يظهر هذا خلال تحليل لنماذج الفكر الاجتماعي الذي ظهر في الحضارات الشرق القديم أو التي ظهرت في الحضارة الإغريقية عن اليونان، و التي تطورت بعد ذلك خلال العصور الوسطى المسيحية أو الإسلامية، كما تباينت أنماط التفكير الاجتماعي خلال مرحلة عصور الإصلاح و التنوير نتيجة

لاختلاف البناءات و النظم الاجتماعية والدعوة إلى استخدام العقل و التجربة و العلم لدراسة الوقائع والبعد عن التفسيرات اللاهوتية.

بهذا نفهم بأن كل مراحل التاريخ الإنساني عرفت عدة محاولات للبحث عن تفسير القضايا والظواهر الفيزيقية و الاجتماعية، حيث تغير نمط التفكير في المجتمعات عبر التاريخ من مراحل مختلفة من مرحلة التفسير الغيبي و غير العقلاني إلى التفسير الديني ثم العقلاني ثم إلى التفسير العلمي لما يحدث في المجتمع و هذا الانتقال جاء نتيجة تغير الظروف الاجتماعية و الفكرية من المرحلة الميتافيزيقية إلى اللاهوتية و الفلسفية إلى المرحلة الوضعية و العلمية.

و هذه التغيرات جاءت نتيجة لظروف و عوامل فكرية و سياسية و اقتصادية التي رافقت مراحل تطور المجتمعات من مراحل العصور القديمة التي اعتمدت على التفسيرات الميتافيزيقية إلى العصور الوسطى التي عبر عنها المفكرون و فلاسفة التاريخ بضرورة دراسة المجتمع بطريقة عقلانية و أكثر واقعية، إلى ضرورة تبني العلم الحديث عند دراسة الظواهر الاجتماعية حتى يمكن معرفة الأسباب و طبيعة المشاكل و النتائج المترتبة عليها، و من ثمة جاءت الدعوة الصريحة مع نهاية القرن الثامن عشر لأهمية وجود علم جديد يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية و وضع قوانين و مبادئ يمكن الاستعانة بها عند دراسة و تحليل هذه الظواهر.[1]

- **النموذج الميتافيزيقي:**

كانت الظواهر الاجتماعية قبل **أفلاطون** تفسر بالرجوع إلى آلهة الإغريق ذات القوى الخارقة للطبيعة، و كان النظام الاجتماعي يخضع لسيطرة الآلهة الذين يتدخلون في شؤون البشر، فالنظرة التي

[1]. نفس المرجع، ص 35.

كانت سائدة في تلك الفترة ترى بأن الكون و المجتمع ينظمان من طرف الآلهة و يخضعان لسيطرتها، و كانت آلهة الإغريق تتصف بخواص إنسانية.

و هذا النموذج يمثل إسقاطا للذات الإنسانية على القوى الإلهية. و اتخاذ هذه القوى الإلهية وسيلة لتفسير الظواهر الطبيعية و الاجتماعية. و كانت هذه النظرية تمهيداً هاما لظهور المسيحية التي ظهرت بعد ذلك وخاصة في إدخال العنصر الإنساني في قوى خارقة للطبيعة و تصور الآلهة بصفات إنسانية و ربط هذه الآلهة بالنظام الطبيعي.

- **النموذج اللاهوتي:**

كان النظام المسيطر في أوروبا في العصور الوسطى هو نظام الكنيسة التي سيطرت على أفكار الأوربيين، و لقد اتسم التفكير في هذه الفترة بالغيبي و اللاعقلاني في صورة مسيحية أوربية، فالآلهة المتعددة صاروا اله واحد يتحكم في الكون كله. و لكنه يرتبط بصورة المسيح الإنسان، و كانت السلطة السياسية و الاقتصادية تحكمها الكنيسة والمسيحية و تتركز على رجال الدين الذين يتحكمون بدورهم في العلاقات بين البشر وصياغة أساليب تفكيرهم و معارفهم، و بهذه الطريقة تعدلت الفكرة الأولى عن الحقيقة لتطابق التفسير اللاهوتي للكون.

- **النموذج الفلسفي:**

في المرحلة الثالثة لتطور الفكر الإنساني أصبح التوجه نحو التفكير فلسفي، وظهرت السلطة السياسية للدولة العلمانية بانهيار سلطة الكنيسة الأوربية، و بدأت الأفكار تتجه أكثر إلى الفرد باعتباره موضع السيطرة و مركز الاهتمام بدلا من الكون الخارجي الغيبي. و بزيادة الاهتمام بالطبيعة و النظام الطبيعي تزايد الاهتمام بالنزعة العقلانية و المادية وبدأ ظهور العلوم.

و مع أن المسيحية قد ظلت راسخة في مجموعة من المعتقدات فقد اتخذت فلسفة عصر التنوير الفرد وما يبدو من عقلانية البشر موضعا لاهتمامها بدلاً من الاهتمام بالكون. و أصبح الإنسان و بيئته الاجتماعية مركز لمعرفة.

و قد سعى فلاسفة عصر التنوير إلى فهم النظام الطبيعي و آثاره على الكائنات البشرية لبلوغ التقدم الاجتماعي العام.

و ظهر فلاسفة يهتمون بالموضوعات الاجتماعية مثل "**هوبز وميكافيلي، وجون لوك، وفولتير، و دافيد هيوم، و جون جاك روسو...** و غيرهم من الفلاسفة الذين يهتمون بتطبيق الفلسفة و المعرفة على أمور الحياة السياسية و الاجتماعية.

و هكذا تحولت التفكير الاجتماعي من الاعتقاد في المقدسات و التحكم في الأفراد إلى الإيمان بأهمية فهم الناس و الطبيعة ليتسنى المساهمة في التطور الاجتماعي العام أي تحركت الأفكار من نسق الاعتقاد في المقدسات إلى الإيمان بالعلمانية. و بهذه الكيفية تحولت الصيغة السائدة من الصور اللاعقلانية إلى صورة عقلانية مصطبغة بفلسفة عصر التنوير و انصرف الاهتمام من المقدسات والمفاهيم اللاعقلانية للحقيقة الفيزيقية والاجتماعية إلى الصيغة العقلانية و العلمانية، و كانت تلك هي الخطوة الأولى في تطور العلم و الطريقة العلمية.

- **<u>النموذج الوضعي</u>:**

و بتقدم المنهج العلمي منذ عصر التنوير سعى المفسرون إلى البحث عن عوامل تخضع لسيطرة الإنسان و إخضاعها للبحث و التجريب، و كان المنهج الذي وضعه في البداية "**فرنسيس بيكون**" بداية النموذج الوضعي و استعداداً لفلسفة عصر التنوير. فهذا النموذج يرى أن الطريقة العلمية وسيلة لكشف النظام الأساسي الذي تقوم عليه الحياة الاجتماعية، و من ثم تؤدي إلى بلوغ الغاية في

التقدم الاجتماعي، و هو تقدم رأي هؤلاء المفكرون أنه لا مفر منه. و قد اعتقد "**أوجست كونت**" بإمكانية تطبيق الطريقة العلمية بتقاليدها الوضعية لتساهم في التطور الاجتماعي للبشر نحو سعادة أشمل ووحدة أخلاقية. فالطريقة الوضعية أو العلمية بتركيزها على استنباط قوانين عامة من التجربة والمقارنة والاستنباط التاريخي كانت مجرد وسيلة لتحقيق غاية التقدم الاجتماعي، متأثرة في ذلك بالاعتقاد العام بأن ثمة نظام فيزيقي و اجتماعي قائم على العقلانية.

- **<u>الجذور الفكرية لنشأة النظرية السوسيولوجية</u>:**

تشكل الجذور و العوامل الفكرية طبيعة الآراء والاتجاهات والأفكار و الإيديولوجيات و المذاهب و التيارات النقدية و الراديكالية التي ظهرت في أوروبا خلال عصر التنوير والمراحل الأولى من العصر الحديث، و التي لعبت دورا أساسيا في تشكيل آراء و اتجاهات و نظريات علماء الاجتماع و تصوراتهم عند دراستهم للظواهر و المشكلات الاجتماعية، كما أثرت هذه العوامل في تكوين آراء العلماء والباحثين المتخصصين في علم الاجتماع، و طبيعة النزعات و المذاهب و المدارس الفكرية و الإيديولوجية التي ينتمون إليها. و لقد مهدت هذه العوامل الفكرية إلى ظهور مجموعة من المناهج و طرق و أساليب البحث الاجتماعي التي أسهمت في دراسة النظريات السوسيولوجية و تطويرها من أجل دراسة الظواهر الاجتماعية التي ظهرت مع ظهور المجتمع الصناعي الحديث. [1]

فالتغييرات البنائية التي أصابت المجتمع الأوربي جراء الثورة الصناعية أدت إلى خلق مشاكل جديدة أثارت اهتمامات فكرية في القرن 19 عند كل من الراديكاليين والليبراليين و المحافظين و التي أدت إلى ظهور **علم الاجتماع** و ظهرت معه مفاهيم جديدة ترتبط بالصناعة و الديمقراطية و الطبقة والبروليتاريا و المساواة و النفعية و الرأسمالية و البيروقراطية...

[1]. نفس المرجع، ص 36.

هذا و قد ظهرت اتجاهات و تيارات فكرية كانت سائدة قبل ظهور النظرية الاجتماعية و التي كانت بمثابة الجذور الفكرية لتأسيس النظرية السوسيولوجية تمثلت هذه الاتجاهات في:

- **الاتجاه الراديكالي:**

ساد هذا الاتجاه من التفكير في القرن السابع عشر مع الفيلسوف **جون جاك روسو** و **ديفيد هيوم** أصحاب الفلسفة العقلية، حيث استمد جذوره من عصر التنوير، فلاسفة هذا العصر اعتمدوا في تحليلاتهم على الربط بين التجربة و العقل على اعتبار أن الكون يسير وفق قوانين تحكمه، و إذا تنظمت البيئة الاجتماعية و السياسية وفق هذه القوانين فإن ذلك سيؤدي إلى تطور المجتمع.

حيث أكد **روسو** على ضرورة إعادة بناء المجتمع وفق المبادئ العقلية المدركة مركزا على أهمية الإدارة الأخلاقية الداخلية و الوعي في تحرير الإنسان، أما **هيوم** فقد أبرز دور العقل و دور الفرد في التفكير.

و لقد أدت آراء فلاسفة التاريخ التي ظهرت خلال عصر الإصلاح و التنوير إلى نقد أساليب التفكير التي كانت سائدة خلال العصور الوسطى و الأساليب التي كانت تؤمن بالغيبيات و التفسير اللاهوتي و الميتافيزيقي. هذه الآراء و الأفكار أثرت على الثورة الفرنسية و التي كانت بمثابة الدعامة القوية لتأسيس نظام جديد مبني على أسس ترتكز على العقل و التي تدعوا إلى ضرورة تحرر الإنسان من عدم المساواة، و من خلال هذا الفكر الراديكالي ظهرت المذاهب الاشتراكية التي أخذت تتطور إلى يومنا هذا.[1]

- **الاتجاه الليبرالي:**

تطور التفكير الاجتماعي و أدى إلى ظهور و تكوين اتجاهات و إيديولوجيات اكثر طموحا ورغبة في التغيير و اكتساب المزيد من الديمقراطية و الحرية الفردية، و المساواة في العمل و لإنتاج

[1]. نفس المرجع، ص 36.

ورأس المال الأمر الذي أدى إلى تكوين الوعي الطبقي و تغيير النسق العقائدي و الفكري و نمو الاتجاهات الحديثة التي تتلاءم مع نوعية المجتمع الحديث. [1]

لهذا ظهر الاتجاه أو التفكير الليبرالي الذي يرتكز على استقلالية الفرد و حريته وحقوقه السياسية و المدنية و الاجتماعية، كما يتفق الفكر الليبرالي على عدة مبادئ أهمها قبول النظام الأساسي للدولة والاقتصاد القائم، فبالرغم من تأييد فكرة الحرية إلا أنها في نظر الليبراليين ليست المصدر الأساسي للحرية، أما المبدأ الثاني فيرى بأن التقدم يعتمد على تحرير عقل الفرد و روحه من الروابط الدينية والتقليدية للنظام القديم.

و يتضح من هذا بأن الاتجاه الليبرالي يسعى نحو النزعة الفردية فهو يهتم بشكل أساسي على حرية الفرد و ليس على السلطة الاجتماعية.

- **<u>الاتجاه المحافظ:</u>**

جاء التيار بالمحافظ بأفكار منافية تماما لما جاء به كل من التيار الراديكالي و الليبرالي، فالتيار المحافظ كان ضد الثورة و التحديث الذي جاءت به، و هو الاتجاه الذي أثر بشكل كبير في تأسيس الفكر السوسيولوجي الحديث.

و لقد جاء هذا الاتجاه بأفكار رومانسية تعزز دور العاطفة و الخيال و الدين والشعر و الفن مع إهمال دور العقل في تنظيم المعرفة و المجتمع، رافضا كل أشكال التغيير التي تدعم النزعة الفردية والنزعة العقلية .

و يمكن القول بأن فلاسفة الاتجاه المحافظ هم الذين وضعوا الأساس المعرفي الذي انبثق منه علم الاجتماع، فلقد ساهمت آراء فلاسفة هذا الاتجاه في تكوين فلسفة اجتماعية و سياسية محافظة تدين بشدة الثورة الفرنسية و الثورة الصناعية التي كانت سببا في إحداث الفوضى و تفكك المجتمع، واستبدال

[1]. نفس المرجع و الصفحة.

القيم المقدسة بالمعايير الشخصية ذات النزعة الفردية و تقلص السلطة السياسية و الدينية والاجتماعية، فهذا الاتجاه كان يهتم بالجماعة و ليس الفرد الذي ليست له حقوق مجردة إلا في ظل واجباته ضمن الجماعة التي هي امتداد من الأجيال السابقة و التي لا يمكن هدمها و تحطيم عاداتها و تقاليدها عن طريق الثورة و تأسيس قيم و تقاليد فردية جديدة...

كل هذا يعكس النزعة المحافظة التي تعتبر التغيرات التي أحدثتها الثورة من العوامل التي إلى فقدان الاستقرار السياسي في المجتمع. و التي تطورت فيما بعد إلى قضايا تفسر طبيعة المجتمع، ذلك أن:

-المجتمع عبارة وحدة عضوية تحكمه قوانين داخلية و وجوده هو استمرار بين الماضي والحاضر و المستقبل.

-المجتمع سابق للفرد و هو الذي يكون الفرد من خلال التعليم الاجتماعي.

-الفرد هو مفهوم مجرد و هو ليس عنصر أساسي في المجتمع، على اعتبار أنه مجرد عضو فقط داخل المجتمع، أما الجماعة فهي الوحدة الأساسية لبناء المجتمع و هي الدعائم التي تقوم عليها حياة الأفراد.

-تترابط العادات و القيم و المعتقدات و النظم داخل المجتمع ترابطا عضويا و تغير جزء من هذه النظم سيؤثر على استقرار المجتمع ككل.

-تعمل كل نظم المجتمع على سد حاجات الأفراد و إذا تعطلت هذه النظم أدى ذلك إلى اختلال النظام داخل المجتمع. و هذه النظم ترتبط وظيفيا فكل نظام له وظائف معينة تعمل على الحفاظ على بناء المجتمع.

-من مظاهر سوء التنظيم في المجتمع ظهور النزعة الفردية الدينية التي ظهرت مع المذهب البروتستانتي الذي أهمل العناصر الرمزية و الطقوسية و التوحيدية، لهذا من الضروري الرجوع إلى النظم الدينية القديمة التي ترتكز على المذهب الكاثوليكي.

-يركز التيار المحافظ على الجوانب غير العقلانية للحياة الاجتماعية كممارسة الطقوس والعبادة، و رفضوا بشدة تفسير المجتمع على أساس العلاقات القائمة على العقل و الدوافع الفردية والعلمانية.

-يقدس الاتجاه المحافظ التدرج الاجتماعي و المكانة الاجتماعية في المجتمع، فالطبقات الاجتماعية تؤدي وظائف كبيرة في المجتمع، و من دون هذا التدرج سيتأثر استقرار المجتمع.

-تكتسب السلطة شرعيتها حسب التيار المحافظ من عادات و قيم و تراث الشعب، فهي تتشكل في روابط مستمرة تبدأ من الأسرة لتمتد إلى الجماعة ثم إلى الطبقة ثم إلى صفوة المجتمع.

و من ناحية أخرى مكنت مجموعة العوامل الفكرية من ظهور مجموعة من المذاهب الفكرية المفسرة للظواهر الاجتماعية و التي تعرف بمذاهب العقليين و مذاهب التجريبيين التر ركزت على أهمية العقل و التجربة في دراسة الظواهر الطبيعية و الاجتماعية، غير أن علماء الاجتماع الأوائل بالرغم من اتخاذهم الموقف المعارض و أحيانا المتوافق مع مجموعة هذه المذاهب إلا أن ذلك أسهم في تطوير وتحديث النظريات السوسيولوجية الأولى و المناهج و طرق الدراسة التي نفسر هذه النظريات، كما أن الاتجاهات الراديكالية النقدية أو الاتجاهات الليبرالية أو المحافظة و التي لعبت كل منها في تحديد أنماط القضايا و المشكلات التي انطلق منها علماء الاجتماع الأوائل عند تأسيسهم علمهم الجديد خلال القرن التاسع عشر. [1]

[1]. نفس المرجع، ص 37.

من خلال ما سبق نفهم بأن التيارات الفكرية السابقة بالرغم من اختلاف وجهات نظرها إلا أنها كانت الأساس الذي انبثق منه علم الاجتماع، فقد أثرت هذه الاتجاهات بأفكارها على تأسيس النظرية السوسيولوجية، و أن علم الاجتماع هو امتداد للاتجاه المحافظ و الذي ظهر استجابة لتلك المشاكل والصراعات الفكرية الإيديولوجية تعالج مشكلة النظام في المجتمع.

- **الجذور الاجتماعية لنشأة النظرية السوسيولوجية:**

ظهرت السوسيولوجيا في غضون القرن 19 في إطار التيارات الفكرية و التفسيرات المختلفة بخصوص إيجاد حلول للمشكلات المرتبطة بالتحولات الاجتماعية الكبرى التي عرفتها المجتمعات الأوربية بداء من نهاية القرن 18، هذه التحولات العميقة أدت إلى ظهور مسائل اجتماعية جديدة أفسحت المجال لنشأة علم الاجتماع عقب التفكير الفلسفي الاجتماعي الذي تأسست على معالمه السوسيولوجيا.

بحيث أدت **الثورة الصناعية** في أوروبا خلال القرن 18 و 19 و**الثورة الفرنسة** سنة 1789 إلى ظهور تحولات اقتصادية و اجتماعية عميقة أدت إلى تغير الظروف بانهيار النظام القديم (النظام الملكي الذي كان سائدا قبل الثورة الفرنسية) و انقسام المجتمع، **فالثورة الفرنسية** عملت على تحقيق المساواة القانونية بين المواطنين بمراجعة أسس النظام السياسي السائد مع ظهور أفكار تقدمية جديدة تنادي بالعقل و التقدم و التحرر، أما **الثورة الصناعية** في بريطانيا فقد أدت إلى تحولات اقتصادية واجتماعية.

فعند الحديث عن الثورة الصناعية التي كانت أواخر القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية و بريطانيا فيمكن القول أنها كانت من العوامل التي أحدثت جملة من التغيرات على الصعيد الاقتصادي و الاجتماعي، بحيث ارتبط ظهورها بتغيير النظم الاقتصادية و التحول من

النظام الإقطاعي نحو النظام الرأسمالي، و التحول من المجتمع الريفي إلى المجتمع الحضري، و تغيير الملكية التي كانت مبنية على الأسرة و الكنيسة و الدولة لتتحول إلى الملكية الصناعية مبنية على أسس رأسمالية، الأمر الذي أدى إلى تغير البنيات الاجتماعية و زوال بعض الممارسات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمعات التقليدية مع تقلص الروابط التقليدية و روح الجماعة، و سيادة المصلحة الفردية و ازدياد التحضر الذي كان نتيجة الهجرة الريفية نحو المدن و الذي نتج عنه تدفق اليد العامل و ظهور طبقات اجتماعية جديدة في المجتمع رافقت ظهور التصنيع و هي الطبقة العاملة و الطبقة الرأسمالية البرجوازية التي كانت تمتلك المصانع و هو ما أحدث تغييرات واضحة في البناءات و النظم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية.

كما و ظهرت هناك مشكلات ثقافية أدت إلى تغيير أنظمة المجتمعات التقليدية، وظهرت مشاكل في القيم الأخلاقية التي أصبحت أكثر تجريدا و تقوم على العلمانية والنفعية و النزعة الفردية و بدأت تنفصل عن القيم الثقافية التقليدية ذات البعد الرمزي نتيجة التقدم التكنولوجي...

و امتد تأثير الثورة الصناعية إلى المدينة التي ازدادت تحضرا فتأثرت بذلك الثقافة وظهار انفصال ثقافي بين المدينة و الريف، و ظهرت العديد من التغيرات على البناءات الاجتماعية التقليدية من بينها النظام الأسري الذي تغير بداخله نمط العلاقات الاجتماعية، بحيث تأثرت الروابط العائلية والعلاقة بين الرجل و المرأة نتيجة تفكك العائلة خاصة بعد خروج المرأة إلى العمل و ما ترتب عن ذلك من تغيرات اجتماعية و ثقافية، و أصبح الفرد يعيش حالة من الاغتراب و الانعزال الفكري...

هذه التغيرات نتج عنها عدة مشكلات صناعية خاصة فيما يتعلق بالطبقة العاملة التي أصبحت محل الاهتمام و الدراسة، بحيث تدهورت ظروف العمل و تقلصت مكانة العامل بسبب ظهور الآلة،

الأمر الذي أدى إلى انتشار البطالة و الفقر و تدهور الأحوال الصحية في المدن، و ظهرت عمالة الأطفال والنساء في المصانع...

و بهذا وجد تنظيم المجتمع نفسه نحو تحول عميق نتيجة تفاقم الأزمات الاجتماعية و الثورات السياسية التي صاحبت ظهور الصناعة و النظام الرأسمالي، و كل هذه التغيرات اعتبرت مجالا خصبا أمام رواد السوسيولوجيا، و هو الأمر الذي دفعهم إلى دراسة تلك القضايا و محاولة حل المشكلات وفهم الظواهر الاجتماعية الجديدة المصاحبة لهذا التطور و محاولة تحليلها تحليلا علميا.

بحيث تأثر الفكر الاجتماعي الحديث و تساءل أهم السوسيولوجيون عن حجم تلك التحولات التي عرفتها المجتمعات الأوروبية في تلك الفترة فظهرت أفكار كل من **إيميل دوركايم** و **كارل ماركس** و**ماكس فيبر** من خلال كتاباتهم و أعمالهم السوسيولوجية الأولى حول الآثار الاقتصادية و الاجتماعية للثورة الصناعية من أجل فهم التحولات المجتمعية الحاصلة. [1]

أين انشغل **إيميل دوركايم** مؤسس المدرسة الفرنسية في السوسيولوجيا بأسس التماسك الاجتماعي و تطوره عن طريق دراسة المجتمعات التقليدية و انتقالها من التضامن الميكانيكي إلى التضامن العضوي و تقسيم العمل الاجتماعي في المجتمع الصناعي. أما الفيلسوف الاقتصادي **كارل ماركس** فقد اهتم بعملية التطور الرأسمالي معارضا على الطبقات الاجتماعية ساعيا نحو مجتمع شيوعي من دون طبقات. في حين مهد **ماكس فيبر** الطريق الى السوسيولوجيا بالتساؤل عن خصوصية الحضارة الغربية التي تتميز بالعقلنة و الرشد. [2]

---

[1]. فيليب ريتو: الدروس الأولى في علم الاجتماع، تر: محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2015، ص 17 – 19. (بتصرف).

[2]. نفس المرجع، ص 19.

2. المحاضرة الثانية: البدايات الأولى لنشأة النظرية السوسيولوجية

من خلال ما سبق رأينا كيف تطور الفكر الاجتماعي في مراحله المختلفة بدء بنماذج التفكير قبل ظهور النظرية السوسيولوجية وصولا إلى المرحلة الممهدة لظهور علم الاجتماع كعلم مستقل و قائم بذاته له نظريته و مناهجه و رواده، و بدأ يأخذ مكانه بين العلوم الأخرى بداية من النصف الثاني من القرن التاسع عشر حين بدأت الدراسات الإنسانية تأخذ الاتجاه العلمي و تطبيق مناهج العلوم الطبيعية من الملاحظة و التجريب والمقارنة، وصولا إلى تعميمات و قوانين تخضع لها الظواهر و نظريات قائمة بمفاهيمها وتحليلاتها و تفسيراتها للواقع الاجتماعي بطريقة علمية.

و يرجع الفضل في ذلك إلى عدد من المفكرين في مختلف أنحاء العالم و ما ساهموا به من رؤى و تحليلات لفهم المجتمع، و لكن يمكن القول دون تحيز بأن **عبد الرحمن ابن خلدون** المفكر العربي المسلم الذي ظهر في القرن الرابع عشر هو المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع باعتباره أنه كان أول من أشار إلى ضرورة وجود علم يدرس **العمران البشري** محددا له موضوعه و منهجه الذي لازال له مكانته في مجال علم الاجتماع لحد الآن.

أما علماء الغرب فلهم نصيب هام كذلك في تأسيس علم الاجتماع و نشأة النظرية السوسيولوجية على رأسهم **أوجست كونت، كارل ماركس، هربرت سبنسر، إميل دوركايم وماكس فيبر**... و هو ما سنتناوله خلال هذا الجزء للحديث عن النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية و التي كانت الممهدة لنشأة النظرية السوسيولوجية الحديثة لعلم الاجتماع.

- **عبد الرحمن ابن خلدون (1332- 1406):**

إن النظرية و التنظير العلمي ليس وليد العصر الحديث بل هو نتيجة لتراكمات معرفية منذ وجود الإنسان، لهذا فإن التفكير الاجتماعي ظهر منذ الحضارات القديمة، أما عن المفكرين المسلمين فقد ظهر منهم في مجال الفكر الاجتماعي كثيرون الذين كانت لهم إسهامات بارزة في التفكير الاجتماعي مثل: **الفارابي و ابن خلدون و إخوان الصفا والغزالي و ابن الرشد** و غيرهم ... غير أن تلك الإسهامات لم تتفق أغراضها و مناهجها مع ما يسمى بالنظرية لأنها تفتقد إلى المنهج العلمي لفهم و تحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية على غرار **ابن خلدون** الذي حدد إطار هذا العلم في كتابه الشهير "**المقدمة**" التي تحتوي على شرح مفهوم "**علم العمران البشري**"، بحيث ساهم في التمهيد لتأسيس وبناء النظرية السوسيولوجية بعدما سلك طريقا مبتكرا يختلف عن سابقيه في دراساته لفهم المجتمع. [1]

بحيث يعتبر **ابن خلدون** أول من أقر بضرورة وجود علم خاص بالعمران البشري والاجتماع الإنساني، تقوم هذه الضرورة على أهمية الموضوع ذاته و كان يعلم بأنه يقيم علما جديدا، و يتضح ذلك من خلال كونه أول من اهتم بدراسة المجتمع بطريقة علمية ومنهجية متميزة محددا له موضوعه الذي هو دراسة العمران البشري و الاجتماع الإنساني و ما يتبعه من ظواهر و تغيرات في أحوال الناس، و واضعا له منهجه الذي لا يختلف عن مناهج العلوم الوضعية الأخرى. [2]

و لقد حاول **ابن خلدون** في مقدمته تفسير نشأة المجتمع البشري الذي يعود إلى الاجتماع الإنساني كونه ضرورة طبيعية لأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه لا يستطيع العيش بمعزل عن المجتمع في ظل الجماعة، فهو مدفوع بحكم الضرورة الاجتماعية لأن يتفاعل مع الأخرين في إطار

---

[1]. زيدان عبد الباقي: التفكير الاجتماعي نشأته و تطوره، دار الغريب للطباعة، القاهرة، 1981، ص 180 – 181.

[2]. عصام محمد منصور: المدخل إلى علم الاجتماع، دار الخليج للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016، ص 38.

عمليات التعاون من أجل إشباع حاجاته، و أنه متى تحقق الاجتماع البشري حصل العمران الذي لابد من وجود سلطة في المجتمع تنظم العلاقات بين الأفراد تنظيما يكفل استقرار المجتمع و استمراريته.

أما عن مناهج البحث الاجتماعي عند **ابن خلدون** فإنه انطلق من انتقاده للكثير من المؤرخين في أخطائهم المتعلقة بدراسة ظواهر الاجتماع الإنساني لهذا اقترح خطوات و أسسا منهجية لدراسة الظاهرة الاجتماعية منها: [1]

- ضرورة تجرد الباحث من الأحكام الشخصية و الأهواء الذاتية.
- معرفة القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية حتى يتمكن من تفسيرها.
- الاعتماد على الملاحظة المباشرة قدر الإمكان.
- العمل على تبيان العلاقة السببية بين الظواهر و الوقائع الاجتماعية.
- أن يقوم الباحث بقياس الأحداث على أصول العادة و طبائع العمران البشري، بحيث لا يأخذ ما ينقل عنها بالتسليم دون تمحيص و تدقيق و يتأكد عما إذا كانت ممكنة الحدوث أو مستحيلة في ضوء خبرته بالحياة الاجتماعية و العمران البشري.
- يمكن للباحث استخدام منهج المقارنة بين ماضي الظاهرة أو المشكلة الاجتماعية وبين حاضرها، بمعنى دراسة تطور الظواهر و النظم و المشكلات الاجتماعية دراسة مقارنة لأن هذه الأخيرة متطورة و متغيرة باستمرار.
- ضرورة الحيطة عند التعميم فعلى الباحث أن لا يعمم نتائج أبحاثه على كل المجتمعات أو على كافة الظواهر الاجتماعية لأنها متغيرة و تختلف باختلاف المجتمعات في الزمان و المكان.

[1]. إدارة المناهج: مدخل إلى علم الاجتماع، مركز المناهج التعليمية و البحوث التربوية، وزارة التربية و التعليم، دولة ليبيا، 2014، ص 30 – 31.

و هكذا نرى بأن **ابن خلدون** قد أشار في أفكاره إلى اتجاهات هامة في البحث الاجتماعي يتصل بعضها بالموضوعية و بعضها الآخر بالنواحي التجريبية، و هو بذلك يعتبر سباقا في هذه الناحية الهامة التي تتصل بالدراسات الاجتماعية. و بهذا نفهم بان **ابن خلدون** أثر تأثيرا كبيرا في مسيرة نشأة و تطور علم الاجتماع و ظهور النظرية السوسيولوجية، و هذا التأثير لا يزال مستمرا حتى الوقت الحاضر.

- **أوجست كونت August Comte (1798- 1857):**

يعتبر **أوجست كونت** من أوائل العلماء و الفلاسفة بعد **ابن خلدون** الذين أسهموا في نشأة وتطور علم الاجتماع، و هو الذي أطلق **علم الاجتماع أو السوسيولوجيا (Sociologie)** على العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية، متأثرا بأفكار الفيلسوف الفرنسي **سان سيمون** في أهمية إصلاح المجتمع و تخليصه من الفوضى والاضطراب و الفساد، ومعتقدا بأن سبب عدم فهم الظواهر و المشكلات الاجتماعية راجع لعدم كفاية النظريات و المناهج في مثل هذا النوع من الدراسات وعجز المفكرون والمصلحون عن الوصول إلى طرق فعالة و مناسبة للإصلاح الاجتماعي. [1]

و لقد ظهرت آراء **أوجست كونت** في مرحلة فكرية كانت ممهدة لظهور أفكار و تصورات جديدة من خلال أفكار و آراء علماء و فلاسفة التاريخ الذين فتحوا المجال أمام **أوجست كونت** و غيره من رواد علم الاجتماع بأن يسهموا في ظهور علم الاجتماع وتأسيس النظرية السوسيولوجية.

و لقد كانت أفكار **كونت** وفق منطق الفلسفة الوضعية تدعوا لتخليص علم الاجتماع من الفلسفة على اعتبار أنه علم مستقل بذاته يعنى بدراسة الإنسان و مشكلاته الاجتماعية و أسماه **بالفيزياء الاجتماعية**، كون أن هذا العلم شأنه شان العلوم الطبيعية الأخرى كالفيزياء و الكيمياء و الأحياء له

[1]. نفس المرجع، ص 35.

أسسه و قوانينه التي يجب أن يهتم بها الباحث عند دراسته للمشكلات الاجتماعية. و لقد أسس طريقتين للتفسير الاجتماعي و هما **الستاتيكا الاجتماعية** و هي البناء الاجتماعي الثابت و تماسك أجزاء المجتمع، و**الديناميكا الاجتماعية** التي تهتم بالتغيرات الاجتماعية و طبيعتها و أسبابها وعمليات الصراع التي تفكك النظام الاجتماعي. كما توصل إلى المراحل الحتمية الثلاثة للمجتمعات الانسانية المتمثلة في **المرحلة الأسطورية، المرحلة الميتافيزيقية و المرحلة الوضعية** وهي المرحلة العلمية. [1]

و لقد سعى **أوجست كونت** نحو دراسة الظواهر و المشكلات الاجتماعية وفق منطق الظواهر الطبيعية باستخدام العقل و المنطق و التجريب و العلم الحديث، و قد تناول قضايا متعددة كالقانون والدين و الأخلاق و العادات و التقاليد و العلاقات الاجتماعية وغيرها... [2]

- **كارل ماركس Karl Marx (1818- 1883):**

تعد النظرية الماركسية أو **المادية التاريخية** من أهم النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية الكبرى التي ساهمت في تطوير علم الاجتماع، مرتكزة على مبدأ الصراع الجدلي متأثرا بفلسفة **هيجل** الجدلية و المادية التاريخية و ترجيح كفة ما هو مادي واقتصادي على ما هو فكري و ثقافي، و من ثمة تتخذ هذه النظرية توجها ماديا واقتصاديا محضا، بحيث كان يرفض المثالية المطلقة لأنه كان مادي النزعة و قد تناول العديد من القضايا الاجتماعية متبنيا فيها المدخل الجدلي مفترضا أن المجتمع الإنساني يتطور وفق قوانين يمكن من خلالها التوصل إلى نظرية علمية تفسر تشكل المجتمع و تطوره فاختار العوامل الاقتصادية كسبب أساسي لعملية التطور، كما أنه ذكر أنه ليس من واجب علم الاجتماع وصف العالم و إنما ينبغي عليه تغييره. [3]

---

[1]. عصام محمد منصور، مرجع سابق، ص 40.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 31 - 32.

[3]. عصام محمد منصور، مرجع سابق، ص 46.

و لقد جاءت تصورات **كارل ماركس** في ألمانيا عندما شعر بنوع من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية و السياسية و الإيديولوجية التي لم تشهدها أوروبا من قبل، خاصة تلك المشكلات المتعلقة بالعمل و الإنتاج بعد الثورة الصناعية التي أدت إلى تقسم المجتمع إلى **طبقات اجتماعية** جديدة و هي **الطبقة الرأسمالية البرجوازية** و **الطبقة البروليتارية الكادحة** و ما نتج عن ذلك من صراع بين الطبقات نتيجة لتعارض المصالح و الغايات و الأهداف مدافعا على الطبقة العاملة ضد الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج، لذلك عرف بطابعه الثوري ضمن الطبقة العمالية.

و لقد حاول **كارل ماركس** دراسة المشكلات الاجتماعية خلال تصوراته حول المادية التاريخية التي اهتمت بدراسة المجتمع و الإنسان معا، كما ركز على دراسة النسق الفكري و الإيديولوجي الذي شكل كل شيء في المجتمع سواء كانت المصالح مادية أو لا مادية. و اهتم أيضا بتحليل العلاقة بين الوجود الاجتماعي و الوعي الاجتماعي، و يكون بذلك من المنظرين السوسيولوجيين المؤسسين لنظريات الصراع معالجا قضايا التطور و التغير و التقدم الثوري و الطبقات الاجتماعية و الاغتراب والإيديولوجيا و العلاقة الجدلية بين بين البناء و الأساس المادي و البناء الفوقي للمجتمع... [1]

و بهذا نفهم بأن التصور السوسيولوجي عند **كارل ماركس هو ثوري راديكالي** يرتكز أساسا على المنظور المادي التاريخي الجدلي بإقامة مجتمع اشتراكي تسيطر فيه الطبقة البروليتارية على وسائل الإنتاج في مجتمع تنعدم فيه الدولة و الطبقات.

فالمادية التاريخية ترى بأن أسلوب إنتاج الثروة هو الذي يشكل الأساس المادي والاقتصادي والذي يترتب عليه تشكيل أوجه المجتمع الأخرى، فالمجتمع هو نسق يتكون من مستويين أساسيين هما **المستوى التحتي (البناء التحتي)** الذي يشمل قوى الإنتاج كالعمال و التجهيزات و رأس المال وأدوات

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 32 – 33.

الإنتاج، و **المستوى الفوقي (البناء الفوقي)** الذي يتضمن علاقات الإنتاج و تعني حقوق الملكية والعلاقات التنظيمية. [1]

من أهم مؤلفاته: "**الاقتصاد السياسي**" و "**بؤس الفلسفة**" و "**الإيديولوجية الألمانية**" وكتاب "**رأس المال**" و كتاب "**الثورة الاشتراكية**" الذي ألفه مع **فريدريك إنجلز** و البيان الشيوعي. [2]

- **هربت سبنسر Herbert Spencer (1820- 1903):**

هو عالم اجتماع إنجليزي ساهم في نشأة علم الاجتماع، انطلق في دراسته بعلم الحياة ثم بعلم النفس ثم اتجه نحو علم الاجتماع متأثرا بالمدرسة العضوية التي تعتبر علم الحياة الأساس الذي يقوم عليه علم الاجتماع، و أن المبادئ الحيوية يجب أن يكون لها اعتبار عند تفسير الظواهر الاجتماعية، كما أن المجتمع الإنساني عبارة عن وحدة حية تختلف عن كونها مجرد مجموعة أفراد منعزلين، كما تقوم المدرسة العضوية أيضا على مبدأ هام يتمثل في كون المجتمع الإنساني عبارة عن كائن عضوي في تركيبه و أعضائه و وظائفه، فهو يتكون من خلايا حية و هم أفراده الذين يخضعون للقوانين البيولوجية. [3]

و يعتبر كتاب مبادئ علم الاجتماع **The Principles of Sociology (1876)** أول دراسة منهجية شاملة لاستعراض موضوعات علم الاجتماع و ميادينه موضحا فيه **نظريته العضوية** التي اشتهر بها في ما يتعلق بالمماثلة بين المجتمع والكائن العضوي في الاشتراك بينهما في العديد من الخصائص الفيزيولوجية و الوظيفية والبيولوجية و حتى التطورية.

---

[1]. عصام محمد منصور، مرجع سابق، ص 46.

[2]. نفس المرجع، ص 47.

[3]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 270.

فالمجتمع شأنه شأن أي كائن حي يبدأ **متجانسا** ثم يميل إلى التعقيد و **اللاتجانس** و هذا ما لاحظه عند دراسته في البيولوجيا، فالأنواع الدنيا من الحيوانات تتكون أجسامها من أجزاء متماثلة أما الأنواع العليا فهي مكونة من أجزاء متباينة تعتمد في أدائها لأعمالها و وظائفها على بعضها البعض. مثل المجتمع تماما إذ يقول أن الجماعات البشرية كانت في البداية تعيش على الفطرة و تتكون من أفراد متشابهين من حيث طريقة العيش والغايات و الحاجات، و لا يعتمد الأفراد على غيرهم فكلهم يقومون بنفس المهام والوظائف فالكل مستقل بذاته و لا حاجة لهم بغيره. لكن مع تطور الحياة الاجتماعية ظهر التعقيد و اللاتجانس بحيث ظهرت الفروق بين الأفراد و تزايد مستوى **التخصص** بينهم فأصبح كل واحد يقوم بوظيفة معينة و هو ما جعلهم غير قادرين عن الاستقلالية عن بعضهم البعض فالكل يخدم الأخر في إطار تعاوني تضامني من أجل تحقيق أهداف و غايات التنظيم الاجتماعي ككل.

فحسب **سبنسر** الانتقال من **التشابه** نحو **التباين** جعل من أفراد المجتمع يسعون نحو تحقيق **التكامل** فيما بينهم، ذلك لأن درجة التعقيد و التخصص التي وصلوا إليها لا تؤدي بهم الاستقلال عن بعضهم البعض و الانعزال و الاكتفاء الذاتي بقدر ما تؤدي بهم إلى التضامن و التماسك و التعاون واعتماد الأجزاء على بعضها البعض طبقا لمبدأ التكامل الاجتماعي لشؤون الحياة الاجتماعية. [1]

هذا و قد ساهم **سبنسر** في علم الاجتماع بنظرية عن السكان و اسباب نموهم متأثرا أيضا بدراسته البيولوجية، حين رأى بأن العوامل البيولوجية مسؤولة عن زيادة السكان أو نقصهم و ذلك على أساس الربط بين الجهد الذي يبذله الإنسان في بناء شخصيته وإثبات ذاته و بين مقدرة جهازه

[1]. عبد الهادي محمد والي: تاريخ التفكير الاجتماعي، منتدى سور الأزبكية، الإسكندرية، 2006/2005، ص 232 – 235. (بتصرف).

البيولوجي على التناسل، فكلما ازداد ما يبذله الفرد من جهود لتأكيد وجوده و نجاحه في المجتمع كلما تقلصت حظوظه في الأنجاب و النسل. [1]

- إيميل دوركايم Emile Durkheim (1858- 1917):

يعتبر **إيميل دوركايم** من أبرز رواد علم الاجتماع الذين ساهموا في نشأة و تطور علم الاجتماع في العصر الحديث و تأسيس معالم هذا العلم، إذ كان له الفضل في تحديد موضوعه و منهجه وطرق دراسته بالاستعانة بالتجريب و النظرية، من خلال إكمال مسيرة **أوجست كونت** و تأسيس المدرسة الفرنسية السوسيولوجية التي وضع معالمها **سان سيمون** خلال القرن التاسع عشر.

و من أبرز القضايا التي تناولها **دوركايم** تأكيده على أهمية دراسة **الظواهر الاجتماعية** على أنها أشياء واقعية يجب الفصل عند دراستها بين التحليلات و التفسيرات السيكولوجية و السوسيولوجية، كما ركز على **المماثلة العضوية** عند المقارنة السوسيولوجية بين المجتمع و الحياة العضوية من الناحية الوظيفية، ضمن نظرية **التضامن العضوي و التضامن الآلي** عند دراسته للروابط و العلاقات الاجتماعية خلال عمليات التطور الاجتماعي من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المتقدمة. كما اهتم أيضا بمسألة الدين و الأخلاق كأساس لفهم عمليات التغير التي تحدث في البناءات والنظم الاجتماعية، كما تناول ظاهرة الانتحار و اهتم بالمجال التربية القانون الفن والتقاليد و العادات والوعي الجمعي و تقسيم العمل و الطبقات الاجتماعية... [2]

فإذا وقفنا عند كتابه "**قواعد المنهج في علم الاجتماع**" **(1893) Les règles de la méthode sociologique** نجده خصصه لدراسة **الظواهر الاجتماعية** أين قدم تعريفا لها على أنها ضربا من السلوك الثابت أو غير الثابت الذي يباشر نوعا من الضغط الخارجي على الأفراد، كم

---

[1]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق ، ص 271.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 33 - 34.

حدد خصائصها فهي تتميز على أنها جماعية وإلزامية وتلقائية ذات طابع إنساني، كما حدد طرق دراستها و ملاحظتها و تفسيرها، و أصر أنه من الوجوب عند دراستها ينبغي اعتبارها كأشياء خارجية بالنسبة لشعور الأفراد و ذلك بإبعاد الأفكار المسبقة عنها و الالتزام بالموضوعية عن طريق الملاحظة و التجريب.

و لقد اهتم **دوركايم** في نفس الكتاب بفكرته المتعلقة بخاصية **القهر La contrainte** المصاحبة للظواهر الاجتماعية، فبالإضافة إلى أن الظاهرة الاجتماعية تتميز **بالتلقائية** كونها تنشأ مستقلة عن إرادة الأفراد، و كون أنها **موضوعية** وواقعية خارجة عن الوجود الذاتي للأفراد باعتبارها حقائق موضوعية، و تتصف بالعمومية نظرا لانتشارها في جميع أنحاء المجتمع، فأنها تتميز أيضا على أنها ظاهرة **قهرية** و جبرية ملزمة للفرد و الجماعة تفرض نفسها على الأفراد و هو ما يتعلق بالقواعد الأخلاقية و الدينية و القانونية و المنطقية و العادات و التقاليد التي تؤدي إلى ظهور **العقل الجمعي (الشعور الجمعي)** الذي يفرض نفسه على الفرد بغض النظر على رغباته الفردية، بحيث لا يشعر الأفراد بإلزامية الظاهرة الاجتماعية إلا عندما يخالفونها ويتعرضون تبعا لذلك للعديد من العقوبات المادية و المعنوية من طرف العقل الجمعي.[1]

أما في كتابه **تقسيم العمل الاجتماعي De la division du travail social (1893)** فقد حلل فيه **التضامن الاجتماعي** من حيث أسبابه و أشكاله و آثاره، بحيث يعتقد **دوركايم** أن تقسيم العمل و التخصص في المهن و الحرف في المجتمعات البدائية كان ضئيلا كون أن الأفراد كانوا متشابهين في النواحي النفسية و الخلقية و الاجتماعية وتسود بينهم عقائد و قيم و تقاليد واحدة وبالتالي يسود بينهم نوع من **التضامن الآلي أو الميكانيكي Mechanistic Solidarity** الذي يتميز بالبساطة و السذاجة و غياب التعقيد و التركيب، فهو غير خاضع لمبدأ توزيع العمل فيغلب على هذه

[1]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 273 – 275.

المجتمعات الدين الذي يعتبر أقوى مظهر لمظاهر الحياة الجمعية إضافة إلى سيادة الأعراف والتقاليد والخضوع لسلطات العادات الاجتماعية، أما في المجتمعات الحديثة المتطورة التي تشهد ازديادا واسعا و معقدا في تقسيم العمل يزول التشابه بين الأفراد و يحل التنوع بينهم و بين الجماعات و يزداد المجتمع تعقيدا من حيث تركيب الوظائف و توزيع العمل فيسود **التضامن العضوي Organic Solidarity** الذي يخضع لمبدأ توزيع الوظائف و يصبح الفرد أداة من أدوات الإنتاج، و يغلب على هذه المجتمعات سلطة القانون و ظهور العلاقات التعاقدية التي تحل محل العلاقات القرابية. [1]

و عن بحثه عن **الانتحار** و الذي ظهر بهذا العنوان **Le suicide** سنة **1887** فقد حاول من خلاله تدعيم آراءه النظرية الاجتماعية بدراسات و شواهد واقعية مستخدما في ذلك طرق و مناهج إحصائية مختلف، فقام بدراسته حول الانتحار و رأى بأن ظاهرة الانتحار لا يمكن إرجاعها إلى عوامل نفسية مرضية أو إلى عامل الجنس و الوراثة أو التقليد، كما لا يمكن إرجاعها إلى العوامل الجغرافية أو إلى الشعور بالفقر أو الفشل أو إلى أي دافع شخصي آخر، فالفرد قد يقدم على الانتحار إما بسبب ارتباطه القوي بالجماعة أو بسبب ضعف هذا الارتباط.

لهذا وضع **دوركايم** الأسباب الرئيسية للانتحار والتي أرجعها إلى بعض الخصائص الاجتماعية و الظروف التي يعيشها الفرد في نطاق أسرته أو عمله، و حسب دراسته فأن الانتحار يعود إلى:

– الشعور **بالفردية و العزلة (Egoistic Suicide)** و الذي يحدث عندما يشعر الفرد بعزلته اجتماعيا عند فقدانه للروابط التي تربطه بالجماعة.

– الشعور **بالإيثار و التضحية (Altruistic Suicide)** و يكون نتيجة شعور الفرد بالواجب نحو مجتمعه فيضحي في سبيله أو أنه يقوم بعمل فيه خزي لمجتمعه فيشعر الفرد على إثره بالذنب والعار، و هنا المجتمع هو الذي يدفع الفرد إلى الانتحار.

---

[1]. نفس المرجع، ص 276.

– كما قد يكون الانتحار لأسباب **مجتمعية نتيجة التغير المفاجئ أو غير المنتظم (Anomic Suicide)** نتيجة الاختلال في التوازن الاجتماعي للمجتمع وظهور الأزمات الاجتماعية و فيها يشعر الفرد بعدم الأمان أو عدم قيمة الحياة و فقدان الحافز لاستمرارها فيكون الانتحار أحسن الوسائل للهروب و التخلص من هذا الوضع. [1]

- **ماكس فيبر Max Weber (1864– 1920):**

ينتمي **ماكس فيبر** إلى المدرسة الألمانية في علم الاجتماع، و هو مفكر وسوسيولوجي الحداثة قام بعدة دراسات سواء في علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية الأخرى كالقانون و الاقتصاد و التاريخ و الفلسفة و اللاهوت و السياسة و التربية... خاصة و أن تصوراته ارتبطت بالفترة الزمنية المعاصرة أين عايش ظهور دولة **بسمارك** ونشأة القومية الألمانية وما صاحبها من ذلك من كتابات **كارل ماركس** لا سيما القضايا المتعلقة بالدين و الصراع الطبقي و الاغتراب و الإيديولوجية.

و لقد تميزت كتاباته السوسيولوجية باستخدامه مناهج مميزة للبحث الاجتماعي التي ترتبط بتصوراته و كيفية تناوله لدراسة المشاكل و الظواهر الاجتماعية مستعينا بالمنهج الاستيعابي و منهج النمط المثالي حين تناول المجتمعات الحديثة و المجتمعات العقلانية، و حسب مؤلفه "**الاقتصاد والمجتمع**" فإن عقلنة الحياة الاجتماعية هي السمة الكثر دلالة للمجتمعات الحديثة.

يرى **فيبر** بأن السوسيولوجيا هي علم يختص بدراسة "**الفعل الاجتماعي**" رافضا مبدأ الحتمية الذي تبناه كل من **ماركس** و **دوركايم**، فهي ليست قوانين مطلقة فالمجتمع ليس نتاج للحتميات و إنما

[1]. نفس المرجع، ص 277 – 278.

هو نتاج **لفعل الأفراد** الذين يتصرفون وفق ما تمليه عليهم الأعراف و القيم و الحسابات العقلانية التي توجه أفعالهم. [1]

فعلم الاجتماع حسب **فيبر** هو ذلك العلم الذي يحاول أن يجد فهما تفسيريا **للفعل الاجتماعي** من أجل الوصول على التفسير العلمي، بقوله أن الفعل الاجتماعي هو سلوك إنساني يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا واضحا كان أم ضمنيا. [2]

و انطلق **فيبر** من دراسة الحياة الاجتماعية بأنها تنطلق من الفعل الاجتماعي كأصغر وحدة بهدف فهمه و تفسير مساره و نتائجه، و أنه المدخل الأساسي لدراسة المجتمع و ما يحتويه من عمليات و علاقات و جماعات و نظم، و أن وحدة التحليل الأساسية للمجتمع هي الفرد الفاعل.

لهذا ميز بين أربع أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي و هي:

- **الفعل التقليدي:** الذي يتمثل في احترام سلطة الأب في المجتمعات التقليدية، أي الفعل الذي تمليه التقاليد و العادات الجمعية التي يتم اكتسابها من خلال عملية التطبيع الاجتماعي.
- **الفعل الوجداني:** الذي توجهه العواطف و هي أفعال ليست عقلانية لأنها ليست موجهة إلى هدف معين.
- **الفعل العقلاني:** و هو الفعل الذي يرتبط بهدف ما و يتجه صوب القيم لتحقيق الهدف و هو ما يعني بالاستراتيجية.
- **الفعل العقلاني القيمي:** و هو الفعل الذي يرتبط بقيمة ما مثل الدفاع عن الوطن. [3]

---

[1]. فيليب كابان، جان فرانسوا دوروتيه: علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام و تواريخ و تيارات، تر: إيناس حسن، دار الرفقد للطباعة و النشر و التوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2010، ص 47.

[2]. عصام محمد منصور، مرجع سابق، ص 50.

[3]. نفس المرجع، ص 50 – 51.

كما و قد عالج **فيبر** في نفس الكتاب أنماط العلاقات الاجتماعية و خاصة اشكال الهيمنة السياسية بحيث ميز بين ثلاثة أنماط مثالية للهيمنة و السلطة تتمثل في: [1]

- **السلطة التقليدية:** المبنية على التقاليد المقدسة و الهيمنة الأبوية و سلطة الأسياد في المجتمعات الإقطاعية.

- **السلطة الكاريزماتية:** و تتعلق بالطاعة للزعيم الذي يتميز بشخصية استثنائية مبينة على قوة الإقناع و القدرة على تجميع و حشد الجموع.

- **السلطة الشرعية (العقلانية):** التي تستند إلى سلطة القانون في التنظيمات البيروقراطية الحديثة التي تتميز بالعقلانية و الرشد.

ولقد اهتم **فيبر** بدراسة الأديان السماوية و الأرضية و أكد على أهمية الدين في تفسير و دراسة الظواهر و الحياة الاجتماعية المختلفة، حيث أبرز أفكاره من خلال كتابه المشهور: "**الأخلاق البروتستانتية و روح الرأسمالية**" حيث يعتبر من أهم أعماله المؤسسة لعلم الاجتماع الديني و أشار فيه إلى أن الدين هو عامل غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية و الشرقية، و كان يرى بأن الأخلاق البروتستانتية أخلاق مثالية و منها استقى **النموذج المثالي للبيروقراطية** و الذي يتميز بالعقلانية والرشد ومن الصعب تطبيقه في الواقع و لو طبق في التنظيم لوصل لأعلى درجات الرشادة. [2]

---

[1]. فيليب كابان، جان فرانسوا دوروتيه، مرجع سابق، ص 49.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 34 – 35.

فالتنظيم البيروقراطي حسب **فيبر** هو النموذج الأمثل للإدارة المبني على التنظيم و تدرج السلطة و الكفاءة ضمن إطار من التدابير الموضوعية غير شخصية، و عقلنة الأهداف، و هذا التنظيم ليس خاص بالإدارة العامة بل يخص أيضا المنشآت الرأسمالية الكبرى و حتى السلطات الدينية. [1]

كما اهتم بمعالجة القضايا السوسيولوجية من خلال استخدامه الفهم و المعنى عند تفسير هذه القضايا و اعتمد على دراسة التاريخ أو الأحداث التاريخية أو ما يسمى بمنهج التحليل التاريخي الذي استخدمه عند دراسته للعديد من الظواهر و المشكلات الاجتماعية. كما و قد ساهم **فيبر** في تطوير النظرية السوسيولوجية الحديثة في علم الاجتماع من خلال طبيعة المنهج الواقعي الذي استخدمه عند دراسته للكثير من المشكلات التي ظهرت في المجتمع الألماني خاصة و أنه كان مؤسس لمنظمة اجتماعية تهتم بدراسة هذه المشكلات و تقديم الحلول لعلاجها و فهمها بصورة واقعية. [2]

---

[1]. فيليب كابان، جان فرانسوا دوروتيه، مرجع سابق، ص 49.

[2]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 34 – 35.

3. المحاضرة الثالثة: النظرية الوضعية عند أوغست كونت

يعتبر **أوغست كونت** (1798-1857) من أوائل العلماء و الفلاسفة بعد **ابن خلدون** الذين أسهموا في نشأة و تطور النظرية السوسيولوجية، و هو الذي أطلق مصطلح "**السوسيولوجيا**" أو "**علم الاجتماع**" على العلم الذي يهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية. ومن أهم مؤلفاته: [1]

- "**الفلسفة الوضعية**" الذي بدأ بنشره عام 1830 حتى 1842 و هو يتكون من 6 أجزاء.
- "**دروس في الروح الوضعية**" عام 1844.
- "**نسق السياسة العضوية**" في أربعة أجزاء نشرت من عام 1851 حتى 1854.
- "**عقيدة الدين الوضعي**" عام 1852.
- "**التركيب أو التأليف الموضوعي**" عام 1856.

تأثر **أوجست كونت** بأفكار الفيلسوف الفرنسي **سان سيمون** في أهمية إصلاح المجتمع و في أن الفلسفة ينبغي أن تسعى نحو تحسين الظروف السياسية و الأخلاقية للأفراد، و قد سعى نحو تخليص المجتمع من الفوضى و الاضطراب، الأمر الذي دفعه بالدرجة الأولى إلى تطوير علم يهتم بدراسة الظاهرة الاجتماعية، لهذا كون لنفسه فلسفة هدفها إعادة تنظيم المجتمع.

و على هذا الأساس قام بتأسيس نظرية علمية تهتم انطلاقا من اعتقاده بأن سبب عدم فهم الظواهر الاجتماعية التي تظهر في شكل فوضى و فساد راجع إلى عدم كفاية النظريات و المناهج المطبقة في بحث و دراسة هذه الظواهر، و بالتالي عجز المفكرون والمصلحون في عصر **أوجست كونت** عن الوصول إلى أسلوب و طريقة فعالة و مناسبة للإصلاح الاجتماعي خاصة بعد قيام الثورة

[1]. فاروق عبد المعطي: أوجست كونت: مؤسس علم الاجتماع الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 7 – 8.

الفرنسية، لهذا اقترح **كونت** منهجا للتفكير والبحث يجمع بين أسلوب التفكير و البحث الوضعي و بين الأسلوب التأملي والميتافيزيقي من خلال تطبيق المنهج الوضعي و هنا ظهرت **النظرية الوضعية** في علم الاجتماع. [1]

و تعد النظرية الوضعية من أهم النظريات السوسيولوجية الكبرى في تاريخ الفكر الغربي، فقد أحدثت قطيعة إبستمولوجية مع التصورات الأسطورية و الميتافيزيقية، بتبني التجريب العلمي منهجا في تحصيل الحقائق، و خاصة في مجال علم الاجتماع الذي أصبح علما مستقلا مع **إميل دوركايم**. و من هنا تبنى الوضعية على الاختبارات الحسية، و التفكير المادي، و الموضوعية العلمية، و الحياد في البحث، و العلمانية (فصل الدين عن العلم)، و التجريب العلمي، و التخلص من اللاهوت و التفكير الميتافيزيقي، والمنفعة، والواقعية.

فالنزعة العلمية تقوم على اعتبار أن كل معرفة اجتماعية لا تصدر إلا من الملاحظة والتجربة، و هي تبنى على الاختبارات الحسية و ذلك بإخضاع الظواهر الاجتماعية للفحص و الاختبار والتجريب، و التفكير المادي و الموضوعية العلمية و الحياد في البحث و العلمانية (فصل الدين عن العلم) و التجريب و التخلص من اللاهوت و التفكير الميتافيزيقي.

و بهذا تكون النظرية الوضعية قد تبنت مناهج العلوم الطبيعية و مناهج العلوم التجريبية في تفسير الظواهر الاجتماعية بالاعتماد على الفرضيات و الملاحظة الخارجية و التجريب و الاختبارات من أجل استصدار القوانين و النظريات العامة.

أي تقوم النظرية الوضعية على:

- العقل- العلم- الملاحظة العلمية- التجريب الدقيق (الحتمية التجريبية)- المنهج المقارن.

[1]. إدارة المناهج، مرجع سابق، ص 35 - 36.

- **التصور المنهجي للوضعية:**

اعتمدت السوسيولوجيا الوضعية على منهجية التغير في الدراسة الظواهر الاجتماعية بمعنى دراسة و تفسير العلاقة بين المتغيرات المستقلة و المتغيرات التابعة من أجل تحصيل القوانين والنظريات و بالتالي التفسير و الذي يسمى ايضا للنسق العلي أو السببي و الذي يعتبر من أهم مبادئ الفكر العلمي الوضعي.

- **وضعية أوجست كونت:**

يعتبر **أوجست كونت** من أهم السوسيولوجيون الذين تبنوا منهج التغير في دراسة الظواهر الاجتماعية وفق أربعة إجراءات تشمل كل من: **الملاحظة– التجريب– المقارنة– المنهج التاريخي.**

و لقد دعا **كونت** الى ضرورة معالجة العلوم الاجتماعية معالجة رياضية، و رأى بأن التفكير الاجتماعي مر بثلاثة مراحل أساسية في التفسير الاجتماعي و التي عرفت بقانون المراحل الثلاثة والمتمثل في:

1. قانون المرحلة الدينية أو اللاهوتية (L'état theologique):

في هذه المرحلة يفكر الانسان بطريقه خيالية خرافية أسطورية وسحرية و غيبية، و يفسر الظواهر الطبيعية وفق قوى خفية مصدرها الأرواح و الشياطين و العفاريت و الالهة، و حسب كونت فإن هذه المرحلة مرت بثلاثة مراحل و هي: **المرحلة الوثنية (Fetichisme) و المرحلة التعددية (Polytheisme)، و المرحلة التوحيدية (Monotheisme)** هذه الأخيرة بدأت بظهور المسيحية والإسلام. [1]

[1]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 266.

2. القانون المرحلة الميتافيزيقية (L'état metaphysique):

بدأت هذه المرحلة في عصر النهضة وخلالها يفكر الإنسان عن طريق التفكير الفلسفي المجرد تأملي وذلك باستخدام العقل و المنطق و الاستدلال و البرهان والحجج الجدلية أمثال الفلاسفة اليونانيون.

3. قانون المرحلة الوضعية (L'état Positive):

تبدأ هذه المرحلة بالثورة الفرنسية، و هي بذلك تكون قد بدأت في الوقت الذي كان يعيش فيه كون، و أنها تتميز بظهور الفلسفة الوضعية و تحسن المعرفة، ففي هذه المرحلة يتجاوز الإنسان بتفكيره مرحلة الخيال و التجريد و بلغ درجة كبيرة، هو منهج البحث العلمي عن طريق المعرفة الحسية و ربط المتغيرات المستقلة و التابعة ربطا سببيا في ضوء مبدأ الحتمية.

و لقد قسم **كونت** علم الاجتماع إلى قسمين: [1]

- **القسم الستاتيكي (سكونية الظواهر الاجتماعية وثباتها)Statique Social:**

أو الستاتيكا الاجتماعية التي تتضمن دراسة و فهم أحوال المجتمع كما هي موجودة أو قائمة فعلا، و أن الموضوع الرئيسي في هذا الفرع هو النظام الاجتماعي الثابت. بمعنى أنه يدرس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة و الثابتة و النسبية، دراسة النظم الاجتماعية الجزئية مثل النظام الأسري والنظام التربوي السياسي والاقتصادي... وذلك بالتركيز على العلاقات الترابطية السببية بين المتغيرات.

[1]. إدارة المناهج، مرجع سابق ص 36.

- **القسم الديناميكي (الحركة و التغير)Dynamique Social :**

أو الديناميكا الاجتماعية و هو العلم الذي يختص بدراسة المجتمع في حركته و تغيره و تطوره المستمر و فهم الظواهر الاجتماعية عبر سيرورة زمنية معينة، و أن الأساس في حالة التحول و التغير هو التقدم.

و لم يفكر **كونت** في أن يجعل علم الاجتماع الخاص بالاستقرار و علم الاجتماع الخاص بالتطور علمين مستقلين، و إنما اعتبرهما مظهرين مختلفين لحقيقة واحدة، و على ذلك فلا يوجد بينهما فاصل جامد و أن التقسيم بينهما لا يكون إلا في الملاحظة فقط، فالملاحظة في القسم الأول **(Statique)** تفترض في المجتمع حالة الثبات، بينما تفترض في القسم الثاني **(Dynamique)** ناحية التطور.[1]

و لقد صنف العلوم إلى ستة علوم أساسية و هي:

الرياضيات- علم الفلك- علم الطبيعة- علم الكيمياء- علم الحياة- علم الاجتماع أو الفيزياء الاجتماعية.

فالرياضيات هي مفتاح كل العلوم أما علم الاجتماع فهو آخرها و تاجها جميعا، فهو يتوج هذه العلوم بعلم جديد هو "علم الاجتماع" و الذي يعتبر أكثر هذه العلوم تعقيدا و تركيبا. و هو علم يقوم على دراسة المجتمعات من الناحية الموضوعية و الطبيعية، بحيث ينبغي تطبيق المنهج الموضوعي على دراسة الظواهر الاجتماعية على أساس الملاحظة الموضوعية التي يمكن أن تنتهي بعلم الاجتماع إلى قوانين سوسيولوجية عامة تفسر الظواهر الاجتماعية.[2]

---

[1]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 263.

[2]. فاروق عبد المعطي، مرجع سابق، ص 8.

- **الانتقادات التي وجهت للنظرية الوضعية:**

بالرغم من الإسهامات التي قدمها **كونت** من خلال النظرية الوضعية إلا أنه وجه إليه كثير من أوجه الاعتراض و النقد و يمكن أن نلخص ذلك فيما يلي: [1]

- يعتبر **كونت** أن الإنسانية كل لا يتجزأ و أنها عبارة عن مجتمع واحد يخضع لنفس القانون في الوقت الذي نجد فيه مجتمعات جزئية مختلفة، لأن المجتمع الإنساني ليس مجتمع في صيغة المفرد و إنما هو عدد من المجتمعات لا تسير في تطورها و تقدمها على نمط واحد فلكل مجتمع و طبيعة استعداده و فهمه للأمور المختلفة.

- يختلف الطريق الذي سلكه العقل الإنساني عن ذلك الذي حدده **كونت**، ففي كثير من الأمور كان الفهم الوضعي للأمور سابقا للفهم الديني أو الميتافيزيقي، كما و أنه توجد مجتمعات في الوقت الحالي تفسر الحقائق العلمية تفسيرا دينيا أو ميتافيزيقيا على الرغم من أننا اجتزنا حاليا المرحلة الوضعية.

- يرجع **كونت** تطور الظواهر الاجتماعية إلى التفكير وحده في الوقت الذي نجد فيه هذه الظواهر تخضع و تتفاعل مع عوامل أخرى كثيرة و التي تتميز بأن التفكير هو أحدها و ليس السبب الوحيد لهذا التطور.

- لا يستمد قانون المراحل الثلاث حقائقه من التاريخ ككل و إنما هو فكرة فلسفية اختار لها **كونت** مجتمعات معينة من التاريخ حاول تطبيقها عليها دون استقراء لتاريخ كل المجتمعات الانسانية، بحيث أن هذا القانون لا ينطبق على كثير من المجتمعات.

- يفسر قانون المراحل الثلاث الحضارة بأنها التقدم بينما نجد الحضارة عبارة عن مستوى عام للحياة المادية و الروحية للمجتمع دون النظر إلى تقدمها أو تأخرها.

---

[1]. لطفي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 268 – 296. (بتصرف).

- لا تفسر الحالات الثلاث في تعاقبها أسباب تطور المجتمع، كما أن الحالة الوضعية لا تأتي دائما بعد الحالة الميتافيزيقية و بعد اللاهوتية.

4. المحاضرة الرابعة: النظرية الوظيفية – البنائية الوظيفية

يمكن القول أن ما أصبح يعرف بالاتجاه البنائي الوظيفي في النظرية السوسيولوجية يمثل أكثر الاتجاهات رواجا في علم الاجتماع خلال خمسين سنة الأخيرة في كل من الولايات المتحدة الأمريكية و أوروبا، و خلال هذه المرحلة ظهرت عدة مؤلفات حول هذا الاتجاه النظري الذي اعتبر من المعالم الرئيسية لعلم الاجتماع المعاصر.

و تشير الدراسات أن هذا الاتجاه النظري مصدره الأساسي هو علم الانثروبولوجيا من خلال كتابات كل من **راد كليف براون و مالينوفيسكي**. إلا أن كثير من علماء الاجتماع يرون أن الاتجاه الوظيفي يعتمد على المسلمات الأساسية للاتجاه العضوي الذي كان سائدا في النظريات السوسيولوجية الأولى في علم الاجتماع، و المسلمة الأساسية التي تعتمد عليها البنائية الوظيفية تدور حول فكرة تكامل الأجزاء و الاعتماد المتبادل بين الأجزاء المختلفة للمجتمع، لهذا يمكن القول بأن البنائية الوظيفية ليست في الأصل سوى صياغات جديدة لأفكار و مسلمات قديمة تعود إلى القرن التاسع عشر، و على ذلك فالمؤسسين الحقيقيين للوظيفية هم علماء الاجتماع الأوائل من الوضعيين، بحيث تعتمد الوظيفية على بصفة أساسية على فكرة **النسق العضوي Organic Seystem** فكل شيء يمكن النظر إليه باعتباره نسقا أو كلا متكاملا يتكون من أجزاء مثل الكائن الحي.[1]

[1]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 199- 200.

فلقد كان رواد علم الاجتماع في القرن التاسع عشر أمثال **أوجست كونت وهربرت سبنسر** متأثرين بأوجه التشابه التي لاحظوها بين الكائنات البيولوجية الحية و بين الحياة الاجتماعية، و قد اتجه **هربرت سبنسر** بصفة خاصة إلى إعلان مبدئه المعروف بمبدأ "**المماثلة العضوية**" **Organic Analogy** أي تشبيه المجتمع بالكائن الحي. [1]

لهذا تعتبر النظرية الوظيفية أول نظرية سوسيولوجية معاصرة تتبنى هذه النظرية تشبيه المجتمع بالكائن العضوي، بمعنى أن المجتمع يتكون من مجموعة من العناصر و البنيات و الأنظمة، يؤدي كل عنصر من هذه العناصر وظيفتها داخل النسق الكبير المجتمعي، و بهذا يترابط كل عنصر في النسق بوظيفة ما، و من ثم فإن المجتمع نظام متكامل و الحفاظ على المكتسبات المجتمعية.

فالمجتمع كائن الحي كوحدة كلية يتكون من أجزاء مترابطة وظيفيا فكل جزء له وظيفة تعمل على تلبية حاجات الوحدة الكلية و التي هي المجتمع و الحفاظ على استمرارها و وجودها، كما ان الاجزاء تقوم بوظائف من أجل النسق الكلي.

و بصفة عامة فإن الاتجاه الوظيفي يعتمد على ستة مسلمات محورية تتمثل في: [2]

1. أي شيء مهما كان فرد أو جماعة أو تنظيم عبارة عن نسق أو نظام **System** يتألف من عدد من الأجزاء المترابطة.
2. لكل نسق احتياجات أساسية.
3. لابد أن يكون النسق دائما في حالة توازن و لكي يتحقق ذلك لابد أن تلبى احتياجات أجزاءه المختلفة.

---

[1]. محمود عودة: أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، (بدون تاريخ)، ص 90.

[2]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 201.

4. كل جزء من أجزاء النسق قد يكون وظيفيا **Functional** يسهم في تحقيق توازن النسق، أو يكون ضار وظيفيا **Dys Functional** ، أو يكون غير وظيفي عديم القيمة **Non Functional**.
5. يمكن تحقيق كل حاجة من حاجات النسق بواسطة عدة بدائل.
6. وحدة التحليل يجب أن تكون الأنشطة أو النماذج المتكررة.

و من هذا المنطلق تطورت النظرية الوظيفية و التي عرفت فيما بعد أيضا بالبنائية الوظيفية.

ترتكز النظرية الوظيفية على مجموعة من المبادئ و المفاهيم الأساسية تتمثل في:

العنصر، الوظيفة، النسق، العلاقات المختلفة، البناء الاجتماعي، المشابهة العضوية، الدور والمكانة الاجتماعية، و المتطلبات الوظيفية، و البدائل الوظيفية، المعوقات الوظيفية، و الوظائف الظاهرة و الكامنة، الجزء في خدمة الكل، والتضامن العضوي، المحافظة و الاستقرار، النظام والتوازن، الأدوار الحيوية، و الاتساق و الانسجام، التماسك الاجتماعي مقابل مبدأ التجزئة و الصراع.

- **مفهوم النسق الاجتماعي Social System:**

هو من أهم المفاهيم الأساسية في الاتجاه الوظيفي، حيث يفهم هذا الاتجاه المجتمع بوصفه "**نسقا**" يتم بسمات أساسية هي **التوازن و التحديد و الترابط**، فالنسق الاجتماعي هو نسق متوازن أو يتج باستمرار نحو التوازن و الاعتدال، و أي قوة تهدد هذا الاستقرار و التوازن تهدد أجزاء النسق الأخرى.

و من سمات النسق أيضا هناك **سمة التحديد** بمعنى أنه يمكن تحديد العناصر الداخلة و المكونة للنسق و تمييزها عن تلك العناصر الخارجة عنها أو التي لا تشكل أجزاء من مكوناته. أما سمة الترابط فتعني ان جميع عناصر النسق الاجتماعي ترتبط ببعضها البعض، بحيث أنه إذا طرأ أي تغيير على عنصر واحد فإن جميع العناصر الأخرى ستتغير استجابة لذلك.

و بهذا فإن الفكرة الوظيفية للنسق الاجتماعي تقوم على أساس **المماثلة العضوية (النموذج الوضعي)**، فالمجتمع يمثل الكائن العضوي و هو **النسق الكلي** و هو مكون من أعضاء أو **أنساق فرعية Subsystems** متفاعلة و متداخلة و معتمدة على بعضها البعض في تحقيق التوازن والانسجام الوظيفي شأنها شأن الأجهزة التي تكون الكائن العضوي. [1]

- **مفهوم الوظيفة Function:**

حسب الاتجاه الوظيفي يمكن فهم الطريقة التي يعمل بها المجتمع و يستمر في بقائه من خلال وظيفة النسق الاجتماعي، فجميع أجزاء النسق الاجتماعي تكون إما **وظيفية Functional أو غير وظيفية Dysfunctional**، فالعناصر الوظيفية تلعب دورا إيجابيا في الحفاظ على استقرار و توازن النسق الاجتماعي، أما العناصر اللاوظيفية فتمثل الأدوار غير النافعة و التي تؤدي إلى نتائج سلبية على النسق العام.

فقلب الكائنات الحية يؤدي دورا إيجابيا في الحفاظ على حياة الكائن الحي من خلال الحفاظ على باقي أعضاء الجسم، أما في حالة القصور فيصبح القلب لا وظيفي و سوف يهدد باقي أعضاء الجسم و قد يهدد حياة الكائن ككل. [2]

و يميز الوظيفيون بين **الوظائف الكامنة Latent و الوظائف الظاهرة Manifest**، فالممارسات و الاستخدامات الاجتماعية قد تكون أهدافها كامنة غير واضحة، أما الوظائف الظاهرة فهي الأنشطة والممارسات التي تلعب أدوارا معروفة و تستهدف أهدافا واضحة و تخدم أغراضا اجتماعية واضحة. أما

---

[1]. محمود عودة، مرجع سابق، ص 92 – 93.

[2]. نفس المرجع، ص 94.

مفهوم **الوظيفية الكامنة** أو الخفية فهو يشير إلى الأهداف التي قد تكون لا شعورية أو غير معروفة أو غير واضحة و غير مقصودة. [1]

- **التصور النظري للبنائية الوظيفية:**

ترتكز النظرية الوظيفية على التصور النظري الذي يقول بأن المجتمع نظام المعقد تعمل أجزاؤه سويا لتحقيق الاستقرار و التضامن بين مكوناته، فالمعتقدات الدينية و العادات الاجتماعية مثلا عبارة عن أجزاء لها وظائف في المجتمع تعمل على الحفاظ على استقراره و ديمومته. فإن أجزاء المجتمع تعمل سويا بصورة متناسقة مثل أعضاء الجسم البشري لما فيه نفع للمجتمع ككل.

الجسم البشري لكي يبقى على قيد الحياة نجد أن القلب كعضو أو كجزء يؤدي وظيفة ضخ الدم إلى سائر الأجزاء الأخرى التي تعمل كل و وظيفتها من أجل استمرار الحياة. و بهذا ترتكز الوظيفة على مبدأ الحفاظ على النظام و الاستقرار في المجتمع النظام و التوازن ممثلان الحالة العالية للمجتمع.

- **التطور التاريخي الوظيفية:**

- **أوجست كونت:**

افترض **أوجست كونت** أن المجتمع وحده يتكون من بناءات و نظم و معتقدات وأخلاقيات تربطها علاقات متساندة تلبي في مجموعها الوظائف الضرورية لاستمرار المجتمع. و يتضمن هذا الافتراض أن دراسة من الأجزاء تفترض تناوله في إطار الكل وعلاقته بالأجزاء الأخرى في إطار علاقة بنائية وظيفية، أي تغيير في الجزء يؤدي إلى تغيرات في الاجزاء الاخرى وفي حاله الكل و الذي هو المجتمع.

[1]. نفس المرجع و الصفحة.

- **هربرت سبنسر:**

قدم **سبنسر** تفسير بنائي وظيفي للمجتمع قياسا على الكائن الحي مركزا على علاقة الجزاء ووظائفها.

- **فيلفريدو باريتو:**

ركز **باريتو** على مفهوم النسق الاجتماعي معبرا به عن الوحدات الاجتماعية و خاصة المجتمع، الذي ينظر إليه كوحدة مكونة من أجزاء متداخلة و مترابطة تحليل للأجزاء لابد أن يكون في إطار الوحدة الكلية للنسق.

- **برونسيلاف مالينوفسكي:**

جاء **مالينوفسكي** بالنظرة الوظيفية للثقافة، فكل ثقافة بما تتضمنه من أشياء مادية و معنوية من تقاليد و معتقدات... تلبي حاجات حيوية، و كل عنصر فيها جزء لا يمكن الاستغناء عنه في إطار الكل. و لقد قدم **مالينوفسكي** تفسير للحاجات الحيوية و النفسية (الطعام و الإنجاب و استمرار النوع والراحة الجسدية و الأمان والصحة...)، و الحاجات الاجتماعية (التنظيم و الإنتاج و توزيع النشاطات و نقل المعرفة و التراث...)، هذه الحاجات تفسر وظيفيا وجود النظم و عملية التنمية و التعلم.

- **ألفريد راد كليف براون:**

يرى **راد كليف براون** بأن الظروف الضرورية لبقاء المجتمع توفر الحد الأدنى من التكامل بين أجزائه و مكوناته، فهو يشير إلى مصطلح الوظيفة تلك العمليات التي تحافظ على استمرار التكامل والتضامن في المجتمع، القرابة مثلا الطقوس الدينية هي عبارة عن أجزاء تقوم بوظائف لتحقيق التكامل و التضامن داخل المجتمع.

- **تالكوت بارسونز:**

تأثر **تالكوت بارسونز** فكريا بكل من **إيميل دوركايم، سيجموند فرويد، فلفريدو باريتو و ماكس فيبر** و بعلماء الاقتصاد التقليديين.

و لقد ارتبطت البنائية الوظيفية منذ العقد الثالث من القرن العشرين بكتاباته ثم تلاميذه أمثال **روبرت ميرتون**، و كانت غاية **بارسونز** بناء نظرية عامة شاملة في الوقت الذي سيطر فيه الاتجاه التجريبي على البحوث الاجتماعية في الولايات المتحدة الأمريكية، و لقد ألف عدة مؤلفات منها:

- **بناء الفعل الاجتماعي.**
- **النسق الاجتماعي.**
- **نظرية علم الفعل.**

بحيث ارتكز إطاره النظري على أربع مفاهيم أساسية شملت كل من:

الفعل الاجتماعي (Social Action).

الموقف (Situation).

الفاعل (Actor).

و توجيهات الفاعل (Actor's Orientation).

بحيث يرى **بارسونز** بأن كل فعل عبارة عن سلوك و ليس كل سلوك فعل فهذا الأخير يتصف بعنصر اتخاذ القرار الذي يقع بين المنبه و الاستجابة، و وحدة التحليل هي الفاعل الذي قد يكون فرد أو جماعة أو مجتمع، أما الموقف فيتضمن مجموعة من المنبهات قد تكون الموضوعات **(Objects)** أو مجموعة المعايير **(Norms)** التي هي عبارة عن أنماط متوقعة من السلوك، أو القيم **(Valus)** التي هي عبارة عن تصورات لما هو مرغوب فيه، و حين يكون الفاعل في موقف ما يكون عليه أن

يقوم بفعل معين و المحددات التي تحدد اختيار نوعية الفعل هي التوجيهات **(Orientations)** حسب ما أسماها **بارسونز**.[1]

و من الأفكار التي جاء بها تركيزه على مفهوم **النسق الاجتماعي** بحيث عرفه بأنه عبار عن فاعلين أو اكثر يحتل كل منهم مركزا أو مكانة متمايزة عن الأخرى و يؤدي دورا متمايزا، فهو عبار عن نمط منظم بحكم علاقات الأعضاء و يصف حقوقهم وواجباتهم اتجاه بعضهم البعض و إطار من القيم و المعايير المشتركة بالإضافة إلى أنماط مختلفة من الرموز و الموضوعات الثقافية المختلفة. كما و يعرف **بارسونز الدور** بأنه سلوك الفاعل في علاقته مع الآخرين إذا ما نظرنا إلى هذا السلوك في سياق أهميته الوظيفية للنسق الاجتماعي أما المكانة فتشير إلى موقع الفاعل في نسق علاقة اجتماعية معينة.

و يرى **بارسونز** بأن الأنساق الاجتماعية تتصف بخاصيتين أساسيتين هما: ميل مكونات النسق إلى الحفاظ على درجة عالية من التكامل، و الميل إلى التوازن و استمرارية مكونات النسق في أداء وظائفها. في حين تواجه النسق الاجتماعي أربع مشكلات أساسية تتعلق بكل من التكيف و تحقيق الهدف و التكامل و خفض التوتر.[2]

كما اعتقد **بارسونز** بأن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الحقيقي لعلم الاجتماع، واهتم بالنظم التي يعرفها بأنها مركب من الأنماط التنظيمية الملائمة للتنظيم كوحدة بنائية في النسق الاجتماعي، كما حدد معالم نظرية الحدث التي تدرس الأنساق الثلاثة:

- الثقافة.
- الشخصية.
- النظم الاجتماعية.

---

[1]. سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 205.

[2]. نفس المرجع، ص 206 – 208. (بتصرف).

و في الأخير يشير **بارسونز** إلى أن المجتمع الإنساني ككل عبارة عن نسق يتكون من مجموعة من الأنساق (المجتمعات) التي يشكل كل منها نسقا مستقلا نسبيا ولكنها جميعا تشكل سويا نسق المجتمع ككل. [1]

- **روبرت كينغ ميرتون:**

تأثر بشكل كبير بأستاذه **بارسونز**، بحيث جاء ليعيد النظر في الوظيفية المطلقة **لمالينوفسكي** و**راد كليف براون** اللذان يعتقدان بأن المجتمع عبارة عن مجموعة الوظائف التي تقوم بها مؤسساته من أجل البقاء و الاستمرار. بحيث أعطى طابعا نسبيا لوظيفة المجتمع و نزع عنها صفة الشمولية، وعوض مفاهيم **مالينوفسكي** بمفاهيم جديدة تتعلق بالمعوقات الوظيفية و البدائل الوظيفية.

فالمعوقات الوظيفية أو الأضرار الوظيفية **(Dysfunctions)** هي تلك النتائج القابلة للملاحظة و التي تقلل من تكيف النسق أو توافقه، و لقد ميز بين نوعين من الوظائف و هما: **الوظائف الظاهرة (Manifest Function)** وهي النتائج الموضوعية التي يمكن ملاحظتها و التي تسهم في الحفاظ على النسق. و**الوظائف الكامنة (Laten Function)** و التي لم تكن مقصودة أو متوقعة و التي تعمل على تحقيق التكامل و الاجتماعي مثل دور الدين. [2]

و هكذا، نخلص إلى أن الاتجاه الوظيفي هو تيار سوسيولوجي يركز على البنية والوظيفة، و هو تصور بنيوي نسقي يربط كل عنصر في المجتمع بوظيفة ما، ويكون الهدف من ذلك كله هو تحقيق النظام و الاستقرار و التوازن و التضامن. بيد أن هذا الاتجاه يغلب عليه الطابع الإيديولوجي المحافظ من جهة و من جهة أخرى، يدافع عن التواجد الليبرالي البورجوازي، باعتباره النظام الاقتصادي البديل الذي يؤدي إلى الحفاظ على ثوابت المجتمع، و مراعاة تماسكه اجتماعيا و طبقيا و اقتصاديا و نفسانيا.

---

[1]. نفس المرجع، ص 209.

[2]. نفس المرجع، ص 212 – 213.

5. المحاضرة الخامسة: البنيوية الوظيفية

تعد النظرية البنيوية من أهم و أقدم النظريات الاجتماعية المعروفة يدرسها كل من علماء الاجتماع و علماء اللغة و علماء النفس و الفلسفة، و كل مجموعة من هؤلاء الاختصاصيين يعنون بها شيئا معينا يتأتى من اختصاصهم و في الوقت نفسه يخدم الاختصاص و يطوره في ضروب معينة.

فالبنيوية عند استخدامها في علم اللغة تعني أصول تراكيب الكلمات و المصطلحات و الجمل والفقرات، إذ أن لكل كلمة أو مصطلح تركيبة البنيوي، أي الاجراءات الاساسية التي يتكون منها. كما أن الكل جملة في اللغة تركيبها الذي يتكون من مجموعة الكلمات أو المصطلحات. إذ تتحلل الجملة تحليلا بنيويا إلى كلمات و الكلمة الواحدة تتحلل الى حروف هي بمثابة العناصر الأساسية التي تتكون منها الكلمة.

و تستخدم النظرية البنيوية في علم البيولوجيا الذي يدرس مجموعة فصائل الكائنات الحية. ذلك أن الحيوان له تركيب أو بناء يتكون من مجموعة الأجهزة العضوية، و الجهاز العضوي الواحد في الحيوان كالجهاز العضلي أو العظمي أو العصبي يتكون من مجموعة الخلايا.

أما استخدام البنيوية في دراسة المجتمع فهو استخدام لا يختلف كثيرا عن الاستخدام اللغوي أو البيولوجي. ذلك أن للمجتمع بناء يتكون من مجموعة المؤسسات أو الأنظمة الاجتماعية الفرعية والنظام الفرعي الواحد يتحلل إلى الأدوار البنيوية، و الدور الواحد يتحلل الى الواجبات و الحقوق الاجتماعية.

- **ظهور النظرية البنيوية:**

تأسست النظرية البنيوية في نهاية القرن التاسع عشر واستمرت بالنمو والتطور حتى منتصف القرن العشرين. و قد كان تأسيسها يستند إلى ظهور مفكرين اجتماعيين معروفين من خلال مؤلفاتهم التالية:

1. **السكون الاجتماعي و علم الاجتماع الوضعي:** لأوجست كونت في منتصف القرن 19.
2. **الطوطمية:** لكولدن ويزر في العقد 30 و 40 من القرن العشرين.
3. **البنى الأولية للقرابة:** لكلود ليفي ستراوس في الثلاثينات و الأربعينات (مؤسس الأنثروبولوجية البنيوية).
4. **الهدية:** لمارسيل ماووس في الستينات و السبعينات.

يركز رواد النظرية البنيوية على موضوع البني أو الأنساق الاجتماعية التي يتكون منها البناء الاجتماعي كالبناء الديني أو البناء الأسري و البناء السياسي و البناء العسكري، و البناء التربوي ... الخ . و أن هذه البنى مختلفة في أشكالها و مضامينها و لكنها متكاملة و متضامنة مع بعضها، فكل بناء اجتماعي يسند و يشد البنى الاجتماعية الأخرى من أجل تحقيق التكامل الاجتماعي.

كما يعالج البنيويون إضافة إلى أجزاء البناء و علاقة البنى الاجتماعية الأخرى تحليل البناء أو النسق الواحد إلى عناصره الأولية، بحيث يتناولون الترابط بين أجزاء النسق مع اشتقاق قوانين تتعلق بطبيعة تغير الأنساق من شكل لآخر، و التركيز على الأسباب الداعية إلى التغيير الذي يحدث للأنساق التي يتكون منها المجتمع.

- **المبادئ الأساسية للنظرية البنيوية:**

- لكل مجتمع إنساني بناء اجتماعي متكامل.

- يتكون من بناء الاجتماعي من نظم اجتماعية فرعية أو مؤسسات اجتماعية لها أهداف معينة كالمؤسسات الدينية المؤسسات الاقتصادية و السياسية و التربوية والعسكرية و العائلية.

- هذه النظم الاجتماعية الفرعية مترابطة و مساندة بعضها مع بعض.

- اذا حدث تغيير في أي من هذه النظم و المؤسسات الفرعية فإنه سيؤثر على بقية النظم إذ يغيرها من طور إلى طور آخر.

- البناء الاجتماعي يمكن تحليله إلى عناصره الاولية و عناصر البناء الاجتماعي هي المؤسسات الاجتماعية و الأدوار البنيوية و الحقوق و الواجبات الاجتماعية.

- للبناء الاجتماعي نسقين: **نسق عمودي** هدفه السيطرة و الضبط، و **نسق افقي** هدفه تحديد مكان و موقع المسؤولية و مراعاة الاختصاص و تقسيم العمل و زيادة حجم المؤسسة و توزيعها.

- تعتقد البنيوية بنظام قيمي يحدد واجبات الأدوار و حقوقها و يرسم قنوات الاتصال بين الأدوار البنيوية و يوضح الممارسات التي يقبلها النظام و يقرها و الممارسة التي ينتجها النظام و يرفضها.

- تحدد النظرية البنيوية العلاقة المتفاعلة بين الدور الاجتماعي و الشخصية، و بين الدور الاجتماعي و البناء الاجتماعي، لأن الدور هو حلقة الوصل بين الشخصية البناء أو بين الفرد والمجتمع.

- تحدد البنيوية قوى او عوامل الثبات و قوى و عوامل التغير الاجتماعي، تتمثل قوى الثبات (السكون الاجتماعي) في أساليب التنشئة الاجتماعية ووسائل الضبط الاجتماعي كالدين و القانون والأعراف و العادات. أما عوامل التغير الاجتماعي فتشمل الحروب الثورات الصراع التصنيع والتحضر التنمية و تغير الأنظمة السياسية.

- تحدد البنيوية العديد من الظواهر التي ترسم أطر البناء الاجتماعي كالطبقية والبناء طبقي، والسكان و البناء السكاني، و العنصر و البناء العنصري، و المهن و البناء المهني.

- **أهم الأعمال المنشورة حول النظرية البنيوية:**

1. كتاب الفلسفة الوضعية لأوجست كونت:

تناول علم الاجتماع الوضعي الذي يختص بدراسة الظواهر الاجتماعية عن طريق العقل، ودراسة أجزاء المجتمع دراسة علمية موضوعية تعتمد على العقل و المنطق والاختبار و التجربة والملاحظة و المقارنة و التتبع التاريخي للأحداث.

كما يتناول موضوع **سكون الاجتماعي و استاتيكا الاجتماعية**، و الذي يقصد به دراسة المجتمعات في أجزائها و عناصرها و نظمها في حالة استقرارها بقصد الوقوف عند القوانين التي تحكم تماسكها.

و حدد كونت عناصر المجتمع من خلال تحليله الستاتيكي (السكوني) إلى ثلاثة عناصر هي: **الفرد، العائلة، الدولة.**

فالتحليل البنيوي لكونت لا يعتبر عنصرا اجتماعيا إلا إذا تفاعل مع الآخرين و تضامن مع الجماعة الاجتماعية، و هذه الجماعة لا تظهر و لا تكون قوية إلا بوجود أفراد ينتمون اليها، فتفاعل العقول لا يتحقق في الوسط الفردي إنما في الوسط الجمعي. و الأسرة هي الوسط الذي تتحقق فيه كل هذه الأمور و كذلك الجماعات الاجتماعية الأخرى.

2. كتاب الطوطمية (عبادة الأوثان) لكولدن ويزر:

الوثنية هي مرحلة بنيوية في تطور الحضارة، و هي شيء قديم و منتشر في جميع أنحاء العالم، تتكون من صفات و مزايا معقدة بعضها اجتماعي و بعضها ديني و بعضها طقوسي، و هي لا تظهر بشكل فجائي بل ترتبط بالسمات الحضارية المادية و غير المادية و الطوطمية للقبائل.

الطوطمية تظهر وسط الظروف الاجتماعية البنيوية للقبيلة ثم تخرج للقبائل الاخرى، فهي ليست مرحلة في التطور الشمولي للحضارة فحسب و إنما من الاستجابات الحضارية المتشابهة التي تقوم بها عقول متناغمة لظروف بيئية واحدة.

3. كتاب البنى الأولية للقراية لكلود ليفي ستراوس:

صاغ **ليفي ستراوس** مفهومه الشهير للأنثروبولوجيا البنيوية خلال وجوده في الولايات المتحدة. وكانت نظريته نظرية غير اعتيادية في مجال الأنثروبولوجيا، إذ إنها ترتبط ارتباطًا وثيقا بكتابات عالم بمفرده.

قدمت البنيوية طريقة جديدة و مميزة في دراسة الثقافة، و بنت على المناهج العلمية و المنهجية للأنثروبولوجيا الثقافية و اللغويات البنيوية.

رأى **ليفي ستراوس** أن الدماغ البشري كان مجهزا مسبقًا لتنظيم العالم تنظيما هيكليا، ما مكن الناس من ترتيب التجارب و ترجمتها. بما أن هذه الهيكليات كانت عالمية، كانت جميع الأنظمة الثقافية منطقية بطبيعتها، لقد استعملوا أنظمة فهم مختلفة فحسب لتفسير العالم من حولهم، مما أدى إلى تنوع صادم في الخرافات و المعتقدات والممارسات. إن وظيفة عالم الأنثروبولوجيا، بحسب **ليفي ستراوس**، هي البحث عن المنطق في داخل نظام ثقافي و تفسيره.

و يعتبر **ليفي ستراوس** أن نظام القرابة عبارة عن نقطة انطلاق لفهم و تحليل البناء الاجتماعية بالنسبة للمجتمعات التقليدية (البدائية). و لقد حاول تطبيق المنهج الوظيفي البنيوي في الدراسات القرابية، بحيث كان له الفضل في توجيه الدراسات القرابية وجهه منهجية و تحليلية و منظمة ترتكز على التحليل و المقارنة، بحيث جعل من المنهج البنيوي منهجا فكريا يطبق على دراسة المجتمع و الفن و اللغة... متأثرا بالعلماء اللغويين البنائين.

تمكن من صياغة نظرية جديدة في القرابة من خلال هذا الكتاب و قد عرفها بأنها عبارة عن انتماء شخصيه أو أكثر الى جد واحد. و قد تكون حقيقية أم متخيلة أو قانونية. و أن قواعد تحديد القرابة تختلف من مجتمع لآخر، فهناك مجتمعات تجعل من القرابة متصلة بالأب وحده و تسير وفق الخط الذكوري الأبوي، و بهذا تكون الأم و أقاربها بعيدة عن العشيرة، و العكس هناك مجتمعات تسير نحو الخط الأمومي و هناك مجتمعات تسير مع الخطين (القرابة الثنائية). و القرابة تقوم على رابطة الدم وتنشأ عن طريق المصاهرة أو الزواج.

- **<u>المبادئ الأساسية للنظرية البنيوية عند كلود ليفي ستراوس</u>:**

- العلاقات التي تأخذ مكانها بين الظواهر الاجتماعية.
- اختزال الظواهر و العلاقات إلى بنى أولية بسيطة.
- مفهوم الظواهر الاجتماعية كنظم تتجسد في الأفكار.
- الاعتراف بأن هذه الأفكار المتجسدة هي أشياء واقعية و لا شعورية "الخواص التفاعلية لنظام القرابة هي المادة الأولية لخلق و توليد النظم المختلفة التي يتكون منها البناء الاجتماعي الذي هو أساس المجتمع.

4. كتاب الهدية لمارسيل ماووس:

- يتناول دراسة البناء و النظرية البنيوية بحيث يقول بأن تبادل الهدايا بأشكالها المختلفة يكون تقريبا في جميع المجتمعات البشرية.

- و بالرغم من كون أن الهدية اختيارية و تلقائية إلا أنها تتصف بصفة الإلزام والواجب و القصد، و هي جزء لا يتجزأ من المساعدة المشتركة المتبادلة و التفاهم و العلاقات الإيجابية.

- و قد عمم **ليفي ستراوس** أحكام الهدية و التزاماتها و جعلها حجر الأساس في نظريته حول القرابة، و يعتقد أن جميع المؤسسات الرقابية هي وسائل لتحقيق التكامل بين العائلات من خلال ظهور ثلاثة بناءات للقرابة: الأبوية، الأموية و المشتركة. هي التي تهدد انحدار الإنسان و التبادل بين هذه الجماعات.

6. المحاضرة السادسة: مساهمة مدرسة شيكاڤو في النظرية السوسيولوجية

لقد نشأ علم الاجتماع كعلم مستقل بذاته في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، ولكن هذا العلم سيشهد نشأة جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة تراكمات الإرث الأوروبي من إنجازات فكرية وعلمية التي ساهمت في تطويره، أما النهضة الشاملة التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية خلقت لعلم الاجتماع مختبرات و معاهد و جامعات ساهمت في نمو و ازدهار السوسيولوجيا، لا سيما علم **الاجتماع الحضري** الذي نشأ بفضل إسهامات **مدرسة شيكاغو** التي نشأت في أحضان الجامعة الأمريكية بالاعتماد على الفكر السوسيولوجي الحضري الأوروبي عند كل من **دوركايم و فيبر و سيمل،** بحيث اهتم هؤلاء بدراسة **ظاهرة المدينة** و من هذا التراث الفكري سينطلق رواد مدرسة شيكاغو من ظروف فكرية و اجتماعية تمثلت في كون مدينة شيكاغو ستعرف نهاية القرن التاسع عشر ميلاد جامعة رائدة تضم أول قسم لعلم الاجتماع و الأنثروبولوجيا في العالم. [1]

تم إنشاء هذه المدرسة سنة 1892 و كانت مهيمنة على البحث السوسيولوجي الميداني و هذا إلى غاية 1930، و تعتبر مدرسة شيكاغو من المدارس التي أدت إلى بروز النظرية و علم الاجتماع الأمريكي، بحيث اعتبرت كمخبر اجتماعي سمح بانطلاق تخصص علم الاجتماع الحضري و علم الاجتماع الانحراف.

[1]. عبد الرحمان المالكي: مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص 5- 6.

- **الممهدون لنشأة مدرسة شيكاغو:**

لقد ساهم علماء الاجتماع الأوائل بطريقة أو بأخرى في التمهيد لتأسيس مدرسة شيكاغو التي كان موضوعها الأساسي هو دراسة ظاهرة التحضر، بحيث هناك عدد من علماء الاجتماع تناولوا في دراساتهم و تحليلاتهم المدينة أو الظاهرة الحضرية و ذلك من خلال مقاراناتهم بين البادية و المدينة. **فابن خلدون** مثلا ذهب إلى أن ظاهرة الانتقال التدريجي و الدائم من البادية إلى المدن هو ظاهرة حتمية بحيث يسعى البشر نحو التحضر و التمدن، و عملية الانتقال هذه ترافقها تحولات و تغيرات ستؤثر على العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

و من بين علماء الاجتماع الغرب الذين ساهموا في نشأة مدرسة شيكاغو نجد:

1. إيميل دوركايم: المدينة و مجتمع التضامن العضوي:

ساهم **إيميل دوركايم** بأفكاره في دراسة المدينة وظاهرة التحضر وذلك عند تقسيمه للسوسيولوجيا إلى "**المورفولوجيا اجتماعية**" التي تهتم بدراسة المجتمع باعتباره ظاهرة مادية أي دراسة الشكل المادي للمجتمعات من حيث عدد أفرادها و كيفية انتشارهم فيها و شكل سكنهم و الهجرات و المدن... و"**الفيزيولوجية اجتماعية**" التي تهتم بدراسة المجتمع باعتباره ظاهرة روحية أي دراسة بنيته المتحركة المتجلية في أفعال الناس و تمثلاتهم و وعيهم الجمعي.

كما أن مسألة التغير الاجتماعي و النمو و تقدم المجتمعات شكلت موضوعه الأساسي في دراسته **لتقسيم العمل الاجتماعي** و ذلك من خلال تفسيره لعلمية الانتقال من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات المتحضرة بانتقالها من **التضامن الآلي** إلى **التضامن العضوي**، و هو الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة النمو الديمغرافي في المجتمع و بالتالي ظهور و تقدم الحضارة. [1]

[1]. نفس المرجع، ص 15- 16.

إن اعتماد **دوركايم** هذا التفسير السوسيولوجي للتطور و التقدم سيجعله يلتقي بالضرورة بالمدينة و بالظاهرة الحضرية و بالتحضر الذي سيشكل التنظيم الاجتماعي الأكثر تعقيدا باعتبار أن المدن ستعرف ارتفاع الكثافة السكانية و تتجمع فيها الكتلة الاجتماعية التي لا يمكنها أن تتضاعف و تمتد إلا إذا ارتفعت كثافتها الروحية **(العقل و الضمير الجمعي)**.[1]

و بهذا نفهم بأن نظرة **دوركايم** للتحضر و للمدينة هو تبجيله لهذه الأخيرة بحيث نجد أنه يرفع المدينة إلى مقام المجتمع الأعلى النموذجي حيث يتحقق التضامن العضوي الذي سيزيد في نظره من التقدم و الحرية و الرخاء.[2]

2. ماكس فيبر و النموذج المثالي للمدينة:

ساهم **ماكس فيبر** من خلال نموذجه المثالي للمدينة بأفكاره و تحليلاته للتمهيد لنشأة مدرسة شيكاغو، من خلال مؤلفه "**المدينة**" الذي نشر عام 1921 عام بعد وفاته في المجلة الألمانية **Archiv fur Sozialwissenshaft and Sozialpolitic** و الذي أدرج فيما بعد في كتاب "**الاقتصاد والمجتمع**" الذي أعد من طرف **ماريان فيبر (MarianneWeber)**، بحيث قام من خلاله بالتأريخ لبداية الاهتمام السوسيولوجي الفعلي بالمدينة.

كما وضع **فيبر** تصنيفا للمدن جعله يشير إلى حالات بعض المدن الحديثة مرتكزا في مشروعه الفكري على مرتكزين أساسيين هما **العقلنة** و **المشروعية**، بحيث يربط **ماكس فيبر** في دراسته للمدينة بين العقلنة و السلطة آخذا بعين الاعتبار التصنيف الذي وضعه للسلطة بين **السلطة التقليدية** و**السلطة البيروقراطية القائمة** على النظام الشرعي أو القانوني المنبثق من العقلنة الغائية التي تحدد

---

[1]. نفس المرجع، ص 19.

[2]. نفس المرجع، ص 22.

أنسب الوسائل لبلوغ أنسب الأهداف، و أخيرا **السلطة الكاريزماتية** القائمة على الاعتقاد في القدرات الخارقة لفرد معين. [1]

و هذا التصنيف هو الذي يمهد السبيل لتناول موضوع المدينة عند **فيبر**، بحيث يعتبر أن المدينة الغربية شهدت تتابعا لسلسلة من السلطة التقليدية وأن السلطة الكاريزماتية فيها غائبة، في حين أن السلطة البيروقراطية لم تولد فيها بعد. كما أنه سعى إلى وضع النموذج المثالي للمدينة فهو يعتبر أنه لا وجود للمدينة المثالية إلا في أوروبا الغربية لما وصلت إليه من العقلنة الحضرية من خلال مختلف تنظيماتها.

و لقد وضع **فيبر** تعريف سوسيولوجي للمدينة و الذي يهتم بنوعية العلاقات الاجتماعية الناجمة عن الكثافة السكانية المرتفعة في مجال ترابي ضيق، و لا يكتفي بهذا التعريف النموذجي بل قدم مجموعة من التصنيفات النظرية و النماذج المثالية الممكنة الأخرى حول المدينة معتمدا على مبدأ العقلنة و الشرعية و الشواهد التاريخية ليقدم تعريفات تكميلية للمدينة على أساس أنها كيان اقتصادي وسياسي و إداري و قانوني.

و بهذا نفهم بأن **ماكس فيبر** حاول صياغة بعض التعاريف النموذجية للمدينة محاولا فهم هذه الأخيرة و اختزالها في مجموعة من المفاهيم المستقاة من التاريخ و من التجارب الحضرية لمختلف الحضارات الإنسانية.

3. جورج سيمل و ثقافة المدينة الحديثة: [2]

لقد كان **جورج سيمل** واحد من علماء الاجتماع الألمان الذين عايشوا أهم التحولات والتغيرات الاجتماعية التي عرفتها ألمانيا و أوربا في بداية القرن العشرين، و ما ترتب عن التصنيع من ظواهر

---

[1]. نفس المرجع، ص 23 – 25.(بتصرف).

[2]. نفس المرجع، ص 36 – 52. (بتصرف).

حضرية جديدة جاءت نتيجة لعملية الانتقال السريع من الحياة القروية البسيطة الى الحياة الحضرية المعقدة في ألمانيا.

و مع **سيمل** انتقلت السوسيولوجيا الحضرية من محاولة تعريف المدينة الى تحليلها، و من دراسة مدينة الماضي الى دراسة المدينة الحاضرة، الى درجة أصبح يعتبر فيها أحد رواد **مدرسة شيكاغو**، و ذلك بفضل أفكاره و تحليلاته و تصوراته التي وضعها حول المدينة الحديثة من خلال السوسيولوجيا الفلسفية.

و لقد اهتم **سيمل** بالتغيرات الاجتماعية الكبرى التي أحدثها التصنيع في ألمانيا وباقي الدول الأوروبية الأخرى التي شهدت انتقالا سريعا من الحياة القروية البسيطة إلى الحياة الحضرية المعقدة، ولقد شكلت ظاهرة التحضر التي واكبت التغيرات الاجتماعية محور اهتمام **سيمل** و بعض العلماء الاجتماع في ألمانيا. و لقد اعتبر **سيمل** أن المدينة الكبرى الحديثة هي المجال الذي يستطيع فيه المجتمع التعبير عن نفسه بطريقة أشمل، و يكون بذلك من بين العلماء الذين ابتكروا فكرة المدينة الكبرى كمفهوم أو ما يعرف **بالمتروبول** كمفهوم نموذجي مثالي و كنمط ثقافي و أسلوب في الحياة أي كظاهرة كبرى تمس كل المجتمع و كل الحضارة.

و في مقال له حول "**المترو بول و الحياة الذهنية**"، حاول **سيمل** تحليل العلاقة بين الثقافة والمجال داخل الوسط الحضري للمدن الكبرى في ألمانيا، وفق منهج شكلاني تأثر به بشكل كبير رواد مدرسة شيكاغو، بحيث يعتبر أن المدن الكبرى هي ظاهرة جديدة ارتبطت بالتحولات الكبرى في أوروبا الغربية على المستوى الاقتصادي و الاجتماعي والسياسي و الثقافي... و إثر الانتقال الديموغرافي والهجرة و التوسع الحضري وبالانتقال من الأشكال التقليدية للمجتمع المحلي الى الأشكال الحديثة في المجتمع الحضري المعقد و المركب.

و بفعل هذه التغيرات توسعت المدن و انتشرت مظاهر الاستلاب و العزلة والعلاقات اللاشخصية و انتشار الفردانية و الاستقلالية الفردية و سيادة العقل الحسابي والتجريدي و غياب العاطفة و العقلنة و زيادة تقسيم العمل... و بهذا يكون **سيمل** قدم تحليلا للمدينة المتروبول، و بذلك فإن المتروبول عند **سيمل** هي مجال كل هذه التناقضات السالفة الذكر و أنها مجال للاقتصاد النقدي كموضوع مهيمن في المدن الكبرى التي تسلب الفرد من إنسانيته و تجعله غريبا عن مجتمعه بسبب الثقافة المتروبولية.

- **نشأة مدرسة شيكاغو:**

نتيجة للتطور والنمو الحضري السريع الذي عرفته أوروبا بداية القرن العشرين وكامتداد لبدايات الاهتمام السوسيولوجي بالمدينة من طرف العلماء و الباحثين الذين أشرنا إليهم سابقا ظهرت مدرسة سوسيولوجية حديثة عرفت بمدرسة شيكاغو و التي اهتمت أساسا بظاهرة التحضر و ما رافقها من ظواهر و مشاكل اجتماعية جديدة نتيجة التغير الاجتماعي. و لقد ساهمت هذه المدرسة في نشأة علم الاجتماع الحديث و بالخصوص نشأة **السوسيولوجية الإمبريقية** التي تنطلق من الميدان في دراساتها وأبحاثها، إذ تعتبر هذه المدرسة مجالا و إطارا تم فيه بناء السوسيولوجيا انطلاقا من تصور فلسفي معين (البراجماتية و الفينومينولوجيا) و من التزام منهجي واضح.[1]

و يقصد **بمدرسة شيكاغو** مجموعة من أعمال البحث التي أنجزت ما بين 1915 و 1940 من طرف أساتذة و طلبة جامعة شيكاغو، و لقد استعمل هذا التعبير لأول مرة سنة 1930 من طرف **ليتر برنارد Luther Bernard**، بحيث اعتبر هذه المدرسة مجالا لتقاسم الأفكار بين

[1]. نفس المرجع، ص 55 – 58. (بتصرف).

الباحثين من مختلف الأجيال باختلاف أبحاثهم و طرق البحث مع اشتراكهم في خاصية البحث الميداني (الإمبريقي). [1]

- **تأسيس جامعة شيكاغو:**

تأسست جامعة شيكاغو سنة 1890 و كانت جامعة خاصة تم تأسيسها بفضل مساهمة مالية قدرها 35 مليون دولار من الغني الأمريكي الشهير **جون روكفيلر (John Rockfeller)** من دون مقابل و لقد كلف **وليام هاربر** بتحقيق هذا المشروع الجامعي الجديد الذي سيصبح المهد الأول للسوسيولوجيا الأمريكية.

و بعد تعيين **وليام هاربر** كرئيس للجامعة تم إنشاء قسم علم الاجتماع والأنثروبولوجيا سنة 1892 من طرف **ألبيون سمول** (1854- 1926) **Albion Small** الذي أشرف على هذا القسم إلى غاية 1924، و هو من أعطى إطارا تنظيميا لعلم الاجتماع عن طريق هذا المركز الذي سيصبح أهم مركز للدراسات و التكوين في مجال السوسيولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. [2]

و لقد قام **سمول** بنشر كتاب متخصص في علم الاجتماع سماه "**مدخل لعلم السوسيولوجيا**" **(Introduction to the science of sociology)** عام 1890 والذي سيكون أول كتاب موجه لطلبة علم الاجتماع، و قد ركز خلاله على ضرورة إنجاز أبحاث ميدانية و القيام بالملاحظات المباشرة مع ضرورة التحلي بالموضوعية في كل الدراسات السوسيولوجية.

و من جهة أخرى قام بإنشاء "**المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع**" **(AmericanJournal of Sociology)** و التي تعتبر أول مجلة متخصصة في علم الاجتماع في العالم، و في نفس الإطار

---

[1]. نفس المرجع، ص 60 – 61.

[2]. نفس المرجع، ص 68 – 70. (بتصرف).

عمل على خلق "**الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع**" **(American Sociological Society)** سنة 1905.

كل هذه الأعمال العلمية و الإنجازات الإدارية ساهمت في تأسيس السوسيولوجيا الأمريكية وترسيخها في الجامعات و المعاهد و تأسيس أول مدرسة سوسيولوجية في أمريكا و باقي العالم ألا وهي "**مدرسة شيكاغو**".[1]

- **أهم رواد مدرسة شيكاغو:**

ظهر العديد من الرواد لدراسة "**سوسيولوجيا التحضر و الهجرة**"، و الافتراض الذي انطلق منه هؤلاء هو وجود علاقة بين التطور الحضاري و ظهور المشاكل المرافقة للتحضر، هذه المشاكل ترتب عنها غياب التنظيم الاجتماعي. فحسب علماء اجتماع هذه المدرسة فإن التمركز الحضري و الاختلال الاجتماعي يؤدي الى الانحراف و الجريمة و هو موضوع الايكولوجيا الحضرية بمعنى الوسط الاجتماعي هل يكون ملائم لهذا النوع من التصرفات الشخصية الحضرية النمطية.

و لقد قام عدد من الباحثين في هذا المخبر الاجتماعي بمجموعة من البحوث الميدانية حول نمط الحياة لسكان **شيكاغو** أمثال:

- **نيلس أندرسون سوسيولوجيا البدو سنة 1923.**
- **هارفي وارن زوربوغ الساحل الذهبي و الكوع 1928.**
- **فريدريك مبلتون تراس العصابة 1929...**

و لكننا سنركز على ثلاثة من الرواد الذين سنتناول دراساتهم بنوع من التفصيل و هم:

[1]. نفس المرجع، مرجع سابق، ص 70 – 72.(بتصرف).

1. <u>وليام إسحاق طوماس</u>: و دراسة الفلاح البولوني

قام **ويليام اسحاق طوماس** بمعية كل من **روبرت بارك** و **فلوريان زنانيكي** بدراسة حول الفلاح البولوني في أوروبا و أمريكا ابتداء من سنة 1908، و هو أول بحث سوسيولوجي درس الهجرة البولونية من خلال البحث في السلوكات الغريبة للمهاجرين البولونيين في الولايات المتحدة الأمريكية على اعتبار أن هذه السلوكات المتناقضة تجعل من هذه الجماعة مشكلة اجتماعية ينبغي البحث فيها و دراستها.

و في عام 1918 شرع **ويليام اسحاق طوماس** و **فلوريان زنانيكي** في نشر دراستهما المشتركة **"الفلاح البولوني في أوروبا و أمريكا"** و هو الكتاب الذي يعتبر شهادة ميلاد السوسيولوجيا الأمريكية الحديثة، حيث تناولت هذه الدراسة وضعية الفلاحين البولونيين في موطنهم الأصلي ثم وضعيتهم بعد هجرتهم إلى أمريكا، في محاولة للتعرف على نمط عيشهم في بولونيا ثم ما طرأ من تغيير على نمط عيشهم بعد الهجرة في إطار كل أنماط و أشكال التفاعل و العلاقات التي ينسجونها مع الآخرين في ضوء ما يسمى بالاندماج و تغيير القيم و المعايير و إعادة تنظيم الاجتماعي.

و لقد استخدم الباحثان في هذه الدراسة مناهج و تقنيات جديدة و منهجين أساسيين هما منهج دراسة الحالة (المنهج البيوغرافي) و تقنية تحليل المضمون لوثائق و رسائل شخصية متبادلة بين البولونيون المهاجرون و ذويهم، بالإضافة على تقنية السيرة الذاتية، كما استخدما مفاهيم مساعدة في دراستهما و المتعلقة بالمواقف الفردية، القيم الجماعية، تعريف الوضعية، التنظيم الاجتماعي و سوء التنظيم الاجتماعي و سيرورة الإدماج و الانصهار .[1]

[1]. نفس المرجع، ص 95 – 99. (بتصرف).

2. روبرت إرزا بارك: و المقاربة الإيكولوجية للتحضر و الهجرة

خلف **روبرت إرزا بارك طوماس** في رئاسة قسم علم الاجتماع و أصبح رائدا فكريا في مدرسة شيكاغو فلقد سخر جهده و فكره من أجل المشروع البحثي الجماعي رفقة طلبته بالقسم، و تعلقت دراسته بموضوع المقاربة الإيكولوجية لظاهرتي الهجرة و التحضر.

و نظرا لخلفيته الفكرية و الميدانية باعتبار أنه انطلق من مجال الفلسفة و الصحافة ثم إلى علم الاجتماع فقد تمكن من كتابة مقالته حول المدينة تحت عنوان "**برنامج البحث السوسيولوجي حول المدينة**" و التي نشرها في "**المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع**" سنة 1915، و في عام 1921 نشر كتاب "**مدخل لعلم السوسيولوجيا**" بالاشتراك مع **ارنست بيرجس**، و كانت هذه الأعمال بمثابة برنامج اشتغال طلبته وفق سلسلة الطويلة من الأبحاث و الدراسات عن مدينة شيكاغو و التي نشرت فيما بعد في منشورات الجامعة و كانت مواضيعها تتعلق بكل من: السكان المشردون، تفكك التنظيم العائلي، عصابات الأحداث الجانحين، الانتحار، مناطق السكن الغنية و الفقيرة في الضاحية الشمالية، فتيات التاكسي، العائلة الزنجية، تنظيم الدعارة... و غيرها من الأبحاث و الدراسات السوسيولوجية الحضرية. و يكون **بارك** من خلال أعماله الفكرية قد تمكن من دخول تاريخ السوسيولوجيا.[1]

و لقد حاول **بارك** تبني نموذج معرفي جديد لمعرفة الواقع الحضري معرفة "**علمية**" و هذا النموذج هو "**الأيكولوجيا**" التي اعتبرها العلم الأقرب إلى الواقع الإنساني، لهذا قام بتوظيف مفاهيم هذا النموذج في دراسة التحضر و الهجرة، بحيث انطلاقا من المنظور الإيكولوجي المتعلق بالبيئة الجغرافية و المجموعات الحيوانية و النباتية استخلص أن هناك "**إيكولوجيا إنسانية**" في علم الاجتماع تتعلق بالمجموعة الإنسانية للأفراد و العلاقات بينهم، و كان تصوره للنظام الاجتماعي وفق مقاربته

[1]. نفس المرجع، ص 117 – 121.(بتصرف).

الإيكولوجية يعني أن انتقال الجماعات الانسانية من مكان لآخر و صراعها مع بعضها البعض يشبه المجموعات الحيوانية و النباتية التي تتصارع و تتنافس من أجل العيش و البقاء.

و بهذا نفهم بأن **روبرت بارك** كان ينظر إلى المدينة من منظور إيكولوجي كمجال قابل للدراسة الوضعية، و أن المجال الحضري هو بمثابة مختبر اجتماعي و المجال الأنسب لدراسة الظواهر والمؤسسات الاجتماعية على اعتبار أن المدينة هي مجال مناسب جدا لدراسة مؤسسات الحياة الاجتماعية لأن هذه الأخيرة تنمو و تتطور بسرعة في شروط الحياة الحضرية و سيرورة نموها وتطورها قابلة للملاحظة و التجريب مما يمنحها صفة المختبر الاجتماعي، كما أنه مجد الحياة الحضرية لأنها تمثل أسمى مرحلة في تاريخ الإنسانية لهذا فإن المدينة بالنسبة له هي السكن الطبيعي للإنسان المتحضر فهي مجال للتقدم و الرخاء و الحرية و نمط العيش الأفضل، و في نفس الوقت و بسبب سوء التنظيم الاجتماعي قد تكون مجالا للانحراف و الجريمة. [1]

3. لويس وورث: و الظاهرة الحضرية

هو من أشهر تلامذة **روبرت بارك** الذي عمل على تحديد خصائص المجتمع الحضري الحديث، فلقد كتب مقال بعنوان "**التحضر كنمط عيش**" سنة 1938 أين قام بتحليل سوسيولوجي للظاهرة الحضرية معتمدا على المقاربة الثقافية للظاهرة الحضرية في إطار "**الأنثروبولوجيا الثقافية**"، بحيث انطلق في دراسته من "**الثقافة الحضرية**" و قام بوضع **تعريف سوسيولوجي للمدينة و للظاهرة الحضرية** انطلاقا من تصوراته لطبيعة الثقافة في المناطق الحضرية على أن: "المدينة هي توطن مهم الحجم نسبيا كثيف و دائم الأشخاص غير متجانسين اجتماعيا". [2]

---

[1]. نفس المرجع، ص 121 – 126.(بتصرف).

[2]. نفس المرجع، ص 155.

و يمكن تفسير هذا التعريف المرتبط بالعناصر الثلاثة:

- التجمع السكاني **(La dimension du groupement de population)**.
- الكثافة **(La densité)**.
- عدم التجانس الاجتماعي **(L'hétérogénéité social)**.

من خلال ما أسماه "**بنظرية الظاهرة الحضرية**" المرتبطة **بحجم اجتماع السكان** في المدينة، بحيث كلما كان كبيرا كلما كانت الاختلافات بين الأفراد كبيرة و يحدث التمايز الاجتماعي و هو ما يؤدي إلى تلاشي العلاقات التعاونية الجماعية. و المرتبطة أيضا **بالكثافة السكانية المرتفعة** في المدينة و التي تؤدي إلى تقوية التباعد و الاختلاف بين الأفراد، فمن مميزات الحياة الحضرية هو أنه بقدر ما تكون الاتصالات البدنية بين الأفراد متقاربة بقدر ما تكون الاتصالات الاجتماعية بينهم متباعدة، الأمر الذي يؤدي إلى الفردية و العدوانية في المجتمع الحضري. أما فيما يتعلق بارتباطها **بعدم التجانس الاجتماعي** في الوسط الحضري فإن ذلك يعود إلى الفوارق الواضحة بين الطبقات المغلقة للتراتب الاجتماعي بين الأفراد نظرا لوجود جماعات اجتماعية متباينة و التي تشكل البنية الاجتماعية للمدينة.

و يضيف **وورث** بعد تعريفه السوسيولوجي للمدينة أن هناك علاقة بين نظرية الظاهرة الحضرية و البحث السوسيولوجي، فإذا اعتبرت الظاهرة الحضرية كنمط عيش متميز فأنه يمكن تناول دراستها امبريقيا انطلاقا من ثلاثة منظورات متصلة تتمثل في كونها: [1]

1. بنية مادية تقوم على قاعدة من السكان و على التكنولوجيا و النظام الإيكولوجي.
2. نسق للتنظيم الاجتماعي المتضمن لبنية اجتماعية متميزة و شبكة من المؤسسات الاجتماعية ونمط خاص من العلاقات الاجتماعية.

[1]. نفس المرجع، ص 156 – 160.(بتصرف).

3. مجموعة من المواقف و الأفكار و الأشخاص المشتركين في أشكال نمطية من السلوك الاجتماعي و الخاضعين لميكانيزات متميزة للرقابة الاجتماعية.

إن ما يمكن استنتاجه من خلال أراء رواد مدرسة شيكاغو من علماء اجتماع اهتموا بالظاهرة الحضرية أنهم كلهم أشاروا إلى وجود نمطين من العيش في مختلف المجتمعات و هما النمط التقليدي القروي و النمط التجديدي الحضري، و أن كل هذه الدراسات تدل على أن مدرسة شيكاغو كانت تتجه نحو البحوث الميدانية من خلال الدراسات المونوغرافية التي قام بها هؤلاء و غيرهم معتمدين على الملاحظة في دراسة التوسع الحضري و النمو الصناعي و ما يرافقهما من اختلال اجتماعي.

و بهذا تكون مدرسة شيكاغو ساهمت في إرساء الممارسة السوسيولوجية عن طريق البحوث الإمبريقية القائمة على الملاحظة و مونوغرافيات بالنزول الى الميدان و الحصول على المعلومات والبيانات و إقامة أنظمة تفسيرية مستمد من الأطر النظرية المفاهيمية المجردة بل من الميدان، كما ساعت الدراسات و البحوث إلى الاهتمام بظاهرة الاختلال الاجتماعي الناتج عن التطور و التحضر.

7. المحاضرة السابعة: النظرية التفاعلية الرمزية

ظهرت التفاعلية الرمزية كرد فعل ضد النزعة الجمعية الدوركيمية و المدرسة النفسية التي تولي أهمية بالغة للفرد دون المجتمع، و لقد حاولت هذه المدرسة أن تحطم الحواجز التقليدية بين علم الاجتماع و علم النفس و تركب ينهما علما واحدا ألا و هو علم الاجتماع النفسي أو علم النفس الاجتماعي، فهذه المدرسة تؤكد على دور الفرد و أهمية المجتمع و التفاعل الحاصل بينهما. لهذا اهتمت هذه النظرية بقضايا تتعلق بتفاعل الفرد في مجتمعه كتلك المواضيع المتعلقة بالتنشئة الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي و التبادل و الرموز و العمليات الاجتماعية المختلفة بدء بالتعاون والتنافس و الصراع و التحالفات بين الجماعات المتعددة المتباينة في المجتمع، إضافة إلى القيم والأعراف التي تنظم الحياة الاجتماعية، و المشاركة الاجتماعية من أجل استمرار المجتمع. [1]

و التفاعلية الرمزية تقدم لنا وجهة نظر عن المجتمع و الفرد و العلاقات الشخصية المتبادلة، فهي تربط بين العناصر الثلاثة، و يعد "**هربرت بلومر**" واحدا من رواد النظرية التفاعلية الرمزية الذي فسر الطريقة التي ينظر بها هذا المدخل إلى السلوك الإنساني المنظم و التغير الاجتماعي و البناء الاجتماعي. [2]

و تقوم نظرية التفاعلية الرمزية على نقطة أساسية مفادها أن الحياة الاجتماعية هي حصيلة التفاعلات التي يقوم بها الأفراد، هذه التفاعلات ناجمة عن الرموز التي كونها الأفراد نحو الآخرين بعد التفاعل معهم.

---

[1]. محمد سعيد فرح: قراءات في التفاعلية الرمزية بقلم مجموعة من العلماء، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر، 2010، ص 8 – 9.

[2] . Blumer, Herbert : Society As Symbolic Interaction. In Rose Arnold, ed Human Society & Social Processes, Londo, Routeldge… & Kegan Paul. 19 . نقلا عن: محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص

فعند عملية التفاعل بين شخصين أو أكثر يكون كل فرد صورة ذهنية تكون بشكل رمز عن الفرد أو الأفراد أو الجماعة التي تفاعل معها، و هذا الرمز قد يكون إيجابيا ومرغوبا أو يكون سلبيا ومكروها، و طبيعة الرمز الذي نكونه عن الأشخاص هو الذي يحدد نوع العلاقة بينهم، و هذه العلاقة قد تكون إيجابية أو سلبية اعتمادا على طبيعة الرمز أو الصورة الذهنية التي كوناها نحو الآخرين.

و تنظر التفاعلية الرمزية إلى ماهية العلاقات الاجتماعية و أسبابها و أنواعها وكيف تتحول من علاقات سلبية إلى علاقات إيجابية فاعلة، و قد تطورت هذه النظرية على أعتاب النظرية البنيوية و نظرية البنيوية الوظيفية و من أسباب ذلك:

- الاهتمام المتزايد لدراسة التفاعل بين الجماعات الصغيرة خاصة المؤسسات الإنتاجية و جماعة الرفاق.
- أن عملية التفاعل بين الفرد و الجماعة تطورت بشكل كبير من حيث هدفها وحجمها.
- معرفة أشكال العلاقات التفاعلية الموجودة في المجتمع، بالإضافة إلى الاهتمام بدراسة الجماعات الصغيرة من أجل الحفاظ على تماسكها و وحدتها.

- نشأة النظرية التفاعلية الرمزية:

ظهرت التفاعلية الرمزية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين على يد العالم "**جورج هيربرت ميد**"، في كتابه "**العقل والذات و المجتمع**"، انطلق "**هيربرت ميد**" في تحليلاته للتفاعلية الرمزية من المدرسة التفاعلية التي يتزعمها **جارلس كولي**"، انطلاقا من الانتقادات التي وجهها إليها، بحيث يعتبر "**جورج هيربرت ميد**" بأن الفرد عند انتهائه من عملية التفاعل مع الآخرين يكون صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد فعل معه، و هذا الرمز يكون محببا أو غير محببا و طبيعة الرمز الذي أعطاه الفرد

الآخرين هو الذي يحدد العلاقة بينه. و تربط التفاعلية الرمزية بين أو الحياة الداخلية أو النفسية للفرد وبين طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه و ما يحتويه من لغة و حضارة و رموز.

إن التفاعلية الرمزية هي مدرسة اجتماعية أمريكية تحاول الربط بين الحياة الداخلية للفرد (الذات والعقل) و بين المجتمع و ما يحتويه من نظام القيم و الأخلاق التي تحكم المجتمع، و التي على أساسها يصدر الأفراد أحكاما عن الآخرين.

إن اهتمامات التفاعلية الرمزية تنصب على حقيقة أن الفرد يقيم و يقيم من الآخرين بعد تفاعله معهم، عند الانتهاء من التفاعل يكون التقييم بشكل رمز يمنح لكل فرد تم معه التفاعل و الرمز يكون إيجابيا أو سلبيا انطلاقا من القيم الاجتماعية، و هو الذي سيحدث طبيعة التفاعل المستقبلي مع ذلك الشخص.

- **رواد التفاعلية الرمزية:**

1. جورج هيربرت ميد (1863- 1931):

هو من أشهر علماء الاجتماع الأمريكان تأثر بالعالم "**وليم جيمس**" و "**زامل جون ديوي**"، من أهم الكتب التي ألفها كتاب: "**العقل و الذات و المجتمع**"، إضافة إلى كتابة أبحاث علمية في علم النفس الاجتماعي و الفلسفة، و لقد ساهم في إرساء المبادئ الأساسية للتفاعلية الرمزية من خلال دراسته للذات في المجتمع و دراسة الأصول الاجتماعية للذات كما يقيمها الفرد و دراسته بالذات كما يقيمها الآخرون، بمعنى أنا كما أقيم ذاتي و أنا كما يقيمني الآخرون.

و يعتقد بأن الذات في المجتمع هي حصيلة تفاعل العامل النفسي الداخلي للفرد والعامل الاجتماعي، حصيلة هذا التفاعل هو الذي يكون الذات الاجتماعية عند الفرد.

أما الأصول الاجتماعية للذات فهي النمو التدريجي للقدرات على الأدوار الوظيفية و تقييم هذه الأدوار عن طريق تقييمها من قبل الآخرين، تقييم الفرد لذاته من خلال تقييم الآخرين لها، و هنا تصبح اللغة الرمز أو وسيلة الاتصال بين الأفراد.

الطفل يبدأ بتقليد أدوار الآخرين تتشكل له صوره عن أدوارهم، هذه الصورة هي التي تجعلهم رمزا له و تجعله رمزا لهم، و هذا الرمز له قيمة معينة في المجتمع، و هذه القيمة تحدد طبيعة التفاعل التي يكونها الإفراد في ما بينهم.

كمعالج **جورج هيربرت ميد** في نظريته موضوع " **أنا**" كما أقيم نفسي و أنا كما يقيمني الآخرون، فعند تفاعل الفرد مع الآخرين فإن الآخرين يقيمون بعد أن يعتبرونه رمزا ذات معنى، و عند تقييم الآخرين للفرد فإنه يقيم نفسه كما يقيمه الآخرون لأن تقييم الفرد لذاته ناتج عن تقييم الآخرين له.

2. هربرت بلومر (1900-1981):

هو تلميذ **جورج هربرت ميد** تأثر بأفكاره عن التفاعلية الرمزية، غير أنه يختلف عنه في عدة أمور نظرا للإضافات التي قدمها في كتابه "**التفاعلية الرمزية: المنظار والطريقة**"، أول من أطلق تعبير التفاعلية الرمزية على النظرية التي حللها **جورج هربرت ميد**، أضافة إلى أنه اعتمد على المنهجية العلمية في جمع المعلومات و تصنيفها وتحليلها و تنظيرها، و ذهب إلى أن فهم و تحليل الظواهر الاجتماعية المعقدة كالثقافة و الطبقة والبناء و المؤسسات يمكن تفسيرها بالتفاعلية الرمزية.

كما أن **بلومر** لم يحدد عملية التفاعل و يحسرها بالأفراد بل ذهب إلى أن التفاعل لا يكون بين الأفراد فقط بل بين الأفراد و المؤسسات و المنظمات و المجتمعات و الطبقات و الظواهر الاجتماعية الأخرى، فالفرد نتيجة لخبراته السابقة يقيم هذه الظواهر و يعتبرها رموز ذات قيمة، بحيث يكون التفاعل

بين الفرد و الجماعات و المؤسسات بعد تكوين رموز ذات معنى محدد بالنسبة له و للمجتمع على حد سواء.

3. فيكتور تيرنز:

من مؤلفاته كتاب " **غابه الرموز**" يعتقد من خلاله بأن الإنسان محاط بغابة من الرموز التي اختبر الإنسان معانيها و رموزها خلال فتره حياته، فالأشياء المادية المحيطة بالإنسان كالأبنية والعمارات و الأشياء الغير مادية كالصحة و المرض و الخبرات و التجارب و القيم و الأخلاق والأديان... مع الأشخاص إنما يجربهم و يختبرهم الإنسان الواحد، و أثناء عملية الاختبار يكون الفرد صورة ذهنية عن كل شيء مادي أو معنوي جربه، و هذه الصورة سرعان ما تتحول إلى رمز له قيمة معينة عند الفرد الذي يجربه. بهذا يكون الإنسان محاط بمجموعة غير محدودة من الرموز التي لها تقييمات معينة عند الأفراد، و هذه التقييمات هي التي تحدد الصلة التي تظهر بين الرمز و الإنسان.

و هكذا يعتقد "**تيرنز**" بأن علاقتنا بالأشياء المحيطة بنا تعتمد على تقييمنا لها عن طريق تحويلها إلى رموز، و هذه الرموز قد تكون إيجابية أو سلبية اعتمادا على خبراتنا و تجاربنا، فإذا كانت الرموز إيجابية فإننا نكون التفاعل القوي بحيث ننجذب لها و تنجذب لنا، أما إذا كانت الرموز سلبية فإننا ننفر منها و تكون صلتنا التفاعلية معها ضعيفة.

و بهذا تقوم التفاعلية الرمزية عند **تيرنز** على المسلمات التالية:

- إننا محاطون بأشياء كثيرة مادية و غير مادية.
- نجرب هذه الأشياء و نختبرها عن طريق اللغة و الذات.
- بعد الاختبار تتحول الأشياء إلى رموز.
- الرموز تقيم أما إيجابية أو سلبية.

- تفاعلنا بالرموز الإيجابية يكون قويا و تفاعلنا بالرموز السلبية يكون ضعيفا.
- الرمز الذي نعطيه لأي شيء هو الذي يحدث صورة التفاعل بيننا و بين الرمز.

- **مبادئ التفاعلية الرمزية:**

تتمثل المبادئ الأساسية للتفاعلية الرمزية كما وضعها **جورج هيربرت ميد** في ما يلي:

- التفاعل الاجتماعي بين الشاغلين لأدوار الاجتماعية معينة.
- يكون الأفراد المتفاعلون صور رمزية ذهنية على الأشخاص الذين يتفاعلون، الشخص وحقيقته وإنما تعكس الحالة الانطباعية التي كونها الشخص اتجاه الشخص الأخر الذي تفاعل معه.
- تلتصق تلك الصورة عند الفرد بمجرد مشاهدته أو السماع عنه دون التأكد من صحة المعلومة لأن الفرد اعتبر الآخر رمزا، و الرمز هو الذي يحدد طبيعة التفاعل، و هذه الصورة الرمزية قد تكون إيجابية أو سلبية اعتمادا على الانطباع الذي وضعه.
- هذه الصورة سرعان ما ينشرها الشخص الذي كونها عن الشخص الآخر المتفاعل معه و تنتشر الصورة بين الآخرين اعتمادا على نوع الانطباع الذي كونه الشخص الأول.
- هذا الانطباع ليس من السهولة تغييره أو إدخال صوره ذهنية مخالفة للصورة الذهنية التي تكونت عنه في البداية، و هذه الصورة الذهنية سرعان ما يعلم بها الفرد المقيم فيقيم نفسه بموجبها، و هنا يكون تقويم الفرد لذاته بموجب الصورة الرمزية التي تكونت عنه انطلاقا من الآخرين.
- تفاعل الفرد أو عدم تفاعله يعتمد على الصورة الرمزية التي كونها الآخرون اتجاه، فإذا كانت إيجابية فإن التفاعل سيستمر و إذا كانت سلبية فإن التفاعل سينقطع ويتوقف.

8. المحاضرة الثامنة: الظاهراتية (الفينومينولوجيا)

خلال الربع الأخير من القرن العشرين تم استحداث العديد من الأفكار و التصورات الكلاسيكية و النظرية في علم الاجتماع، نتيجة لظهور تصورات أكثر واقعية تهتم بتحديث آراء و أفكار النظريات التقليدية، وهو ما عرف **بالاتجاه الفينومينولوجي Phenomenology Approach** كأحد المداخل السوسيولوجية الحديثة التي ظهرت خلال السنوات الأخيرة في ألمانيا و المناطق المجاورة لها في أوروبا بين الحربين العالميتين.

و **الفينومينولوجيا** هي تيار فلسفي يعود تأسيسه إلى الفيلسوف الألماني "**إدموند هوسرل**" (1859-1938)، و الذي قدم نظرة جديدة للفلسفة و العلوم حيث حاول من خلالها إحداث تغيير جذري في الفكر الغربي المعاصر عن طريق استحداث منهج جديد أصوله فلسفية و مبادئه علمية، وهذا المنهج مبني على أسس علمية دقيقة بعيدة عن التبعية المنهجية للعلوم الطبيعية، بل هو وسيلة لتطبيق نقد شامل للمعرفة العلمية الطبيعية عن طريق إعادة النظر في مبادئها و مناهجها و نتائجها.[1]

و تتكون كلمة **فينومينولوجيا** من مقطعين: **Phenomena** و تعني الظاهرة و **Logy** وتعني العلم أو الدراسة العلمية لمجال ما، و بذلك يكون معنى الكلمة هو العلم الذي يدرس الظواهر، والمقصود بالظواهر هنا ليس ظواهر العالم الخارجي بما فيها الظواهر الطبيعية أو الفيزيائية، فالمقصود بالظواهر التي تدرسها الفينومينولوجيا ظواهر **الوعي**، و بالتالي فالفينومينولوجيا هي دراسة الوعي بالظواهر و طريقة **إدراكه** لها و كيفية حضور الظواهر في خبرته، فهي كيفية **إدراك الوعي** للموضوع

[1]. عبد العزيز مباركي: الفينومينولوجيا و فلسفة الوعي عند هوسرل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 12، العدد02، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، 2020، ص 241.

ووصوله إلى معرفة موضوعية و يقينية حوله، أي بالاستعدادات المعرفية الموجودة لدى الذات الإنسانية والتي تمكنها من تأسيس معرفة يقينية و هذه الاستعدادات مرتبطة بالوعي.

و بهذا نفهم بأن المفهوم الرئيسي في الفلسفة الظاهراتية مفهوم "قصدية الوعي" أي كونه موجها نحو الموضوع، و التي تعني تأكيد المبدأ المثالي الذاتي، بحيث لا

و ترتبط جذور الاتجاه الفينومينولوجي أو الظاهراتي بالفلسفة الظاهراتية التي ارتبطت بالفيلسوف الألماني "**إدموند هوسرل**" الذي كان أول من استخدم مفهوم "**الظاهراتية**"، و الذي ساهم إسهاما كبيرا في تطوير المنهج الظاهراتي و توصيفه، و بعد ذلك دخلت الظاهراتية التحليل السوسيولوجي بشكل واضح عن طريق "**ألفرد شوتز**" الذي حاول مزج أفكار الفلسفة الظاهراتية مع علم الاجتماع من خلال النقد الفلسفي للأعمال "**ماكس فيبر**".

و لقد نشأ هذا الاتجاه في سياق الاتجاهات النقدية للاتجاه الوضعي الذي بالغ في التقريب بين العالم الطبيعي و العالم الاجتماعي، بحيث ظهر كرد فعل على المغالاة في استخدام المنهج التجريبي في العلوم الاجتماعية و الذي نتج عنه تشييء الظواهر ومحاولة حصر الحقيقة فقط فيما يدركه الإنسان بحسه.

و يرتكز أصحاب هذا المدخل على دراسة نسق المعرفة و تحليل المعاني والأفكار والتصورات أو ما يعرف عموما بالدراسة **الظاهراتية Phenomonan**، كما يسعى أصحاب هذا المدخل إلى ضرورة اختيار البدائل الجديدة في دراسة السلوك البشري و دراسة أنماط التفاعل و نوعية المواقف وعمليات الشعور و الإدراك، و ذلك عن طريق الاعتماد على خبرات الأفراد و قدراتهم المعرفية والحياتية و تصوراتهم و انطباعاتهم حول حقائق الأمور و الظواهر الاجتماعية و المعرفية. [1]

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 127 – 128.

و الظاهراتية هي طريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه، والظاهرة قد تكون أحداثا أو مواقف أو تجارب أو مفاهيم و كلها تحيط بنا.

و يعرفها "**هوسرل**" بأنها الاهتمام بتلك الأشياء التي يمكن أن تدرك مباشرة بواسطة حواس المرء، فمعرفتنا بالأشياء لا تكون عن طريق الخبرة مباشرة، و إنما عن طريق حواسنا و عن طريق التأمل و الوعي، فالظاهراتية هي دراسة الأشكال المختلفة للوعي و تنوعاته و الطرق التي يعي بها الناس العالم الذي يعيشونه.

كما و عرفها أيضا بأنها مصطلح يدل على علم و على نظام من الميادين العملية أو على منهج و موقف للفكر الفلسفي و المنهج الفلسفي بخاصة، و هو التعريف الذي قدمه **هوسرل** للفينومينولوجيا في الدروس الخمسة التي ألقاها في جامعة **كوتنغن** سنة 1907 و التي جمعن في كتاب "فكرة الفينومينولوجيا" أين حدد هوسرل معالم الفلسفة الفينومينولوجية و أهدافها التي تتمثل أساسا في بناء علم كلي يشمل كل من المعرفة العلمية الطبيعية و الفلسفية من خلال استحداث منهج قائم على مبادئ فلسفة أصلية. [1]

و بهذا تركز الظاهراتية على الخبرة و الوعي فظهور الأشياء في خبراتنا والطرق التي نخبر بها هذه الأشياء و المعاني التي تكتسبها الأشياء في خبراتنا جميعها مرتكزات معرفية أساسية في الظاهراتية، الموضوعات و الأحداث و الأدوات و غيرها جميعها تظهر في عالمنا المعاش الذي يخبره ذاتيا، و الأشكال المختلفة للخبرة الذاتية تتراوح بين التصور و الفكر و الذاكرة و التخيل و العاطفة والرغبة و الذات وصولا إلى النشاط الاجتماعي بما في ذلك النشاط اللغوي. فهي جهد موجه لوصف الظواهر كما يدركها و يعيها الأفراد كما تبدو لهم فالوعي وسيلة و هدف للظاهراتية.

---

[1]. إدموند هوسرل: فكرة الفينومينولوجيا، تر: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 56.

كما ترتبط النظرية الظاهراتية بتحليلات "**الفريد شوتز**" من خلال علم الاجتماع الفينولوجي في كتابه "**فينولوجيا العالم الاجتماعي**"، و ذلك بالاعتماد على تحليل أفكار "**هوسرل**" و مركزا على تحليلات "**ماكس فيبر**" في دراسته للفعل الاجتماعي و طبيعة الاتصال و السلوك التي يتصرف على ضوئها الأفراد. فقد حاول تفسير تشكل الظواهر الاجتماعية من خلال الناس العاديين و الخبراء بهدف توضيح الثراء الفكري و التنظير بالاعتماد على الخبرات الشائعة، و من القضايا التي عالجها الواقع الاجتماعي، مجالات المعنى، البناء الاجتماعي ...

و الافتراض الأساسي الذي تنهض عليه هذه القضايا هو أن الحياة اليومية التي تمثل نمط التنظيم الاجتماعي و أن العالم المحسوس و الخبرة الحياتية يمثلان الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع.

و بإيجاز يمكن تحديد المقصود بالمدخل الفينومينولوجي بأنه وسيلة لاستخلاص ما نلاحظه في الواقع لفهم جوهر الأشياء و تحليلها و ربطها بالصورة الذهنية و العقلية للأفراد بطريقة علمية ومدروسة، و لقد شكك أنصار هذا المدخل في قدرات النظريات البنائية الوظيفية و الماركسية و في إدراكها حقيقة هذه التصورات التي يقوم عليها الاتجاه الظاهراتي، و من أبرز رواد هذا المدخل **ميشيل يونج M. Young**، عالم الاجتماع البريطاني و كتابات **كرابل Karabel**، و **هالس Halsey** و **جيرالد Gerald**، و **لاتون Lawton** و غيرهم... [1]

- **<u>أهم المبادئ التي ترتكز عليها الظاهراتية:</u>**

ترتكز الظاهراتية على المبادئ الأساسية الآتية:

- إن مادة التحليل للظاهراتية هي خبرة الحياة اليومية.
- يمتلك الإنسان عنصر المبادرة في الفعل الاجتماعي و هو خالق الوضع و نتاجا له.

[1]. عبد الله محمد عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 128.

- التركيز على مبدأ النزعة الفردية بالتأمل الداخلي يمكن التوصل إلى الميول الفطري في الإنسان.
- إعادة النظر في الكثير من المسلمات النظرية و المنهجية الشائعة في الفكر السوسيولوجي.
- يرفض اعتبار العلوم الطبيعية نموذجا يمكن أن تحاكيه العلوم الاجتماعية مع التأكيد على الفارق بينهما.

من خلال ما سبق نفهم بأن الفيلسوف الألماني **ادموند هوسرل** مؤسس الفينولوجيا التي أثرت على الفلسفة المعاصرة، و بالأخص الفلسفة الوجودية، كما أن **هوسرل** اعتمد في تحليله للظاهراتية في الإدراك و الوعي على وصف ظواهر الوعي رافضا النزعة السيكولوجية و مناهجها، لأن مناهج علم النفس تعاني بعضا من الخلط و الغموض بسبب تجاهلها معطيات الخبرة الإنسانية، بحيث ذهب إلى أن العلوم التي تدرس الإنسان تحاول تفسير الخبرات الإنسانية من خلال مجموعة من الأسباب الخارجية و الداخلية، و بهذا فإن علم النفس قد فقد القدرة على تحديد هويته لأنه فقد الإحساس بالظواهر التي يدرسها و بالتالي فهو ضحية الصراع بين تحقيق الوعي الخالص و الوعي الامبريقي، وأن مناهج العلوم الاجتماعية يجب أن تتعرف على طبيعة الأشياء بالابتعاد عن الذاتية و التصورات القبلية، و هي الفكرة التي تحدث عنها **إيميل دوركايم** في كتابه "**قواعد المنهج في علم الاجتماع**"، حيث أشار إلى أن أول قاعدة يجب التقيد بها عند دراسة الظواهر الاجتماعية لابد و دراسة الظاهرة وكأننا لا نعرفها بعيدين كل البعد عن التحيز و التصورات القبيلة للظاهرة.

9. المحاضرة التاسعة: الإثنوميتودولوجيا

هي من أحدث النظريات في علم الاجتماع، و ترجع نشأة هذا المدخل إلى تصورات عالم الاجتماع الأمريكي **هارولد جارفينكل HAROLD GARFINKEL (1917-2011)**، الذي يعتبر أول من وضع مصطلح **الإثنوميتودولوجيا** سنة **1945**. في كتابه "**دراسات في الإثنوميتودولوجيا**" **Studies in Ethnomomethodologiy** الذي أصدر سنة **1967**. و يقصد بهذا المفهوم دراسة طرق و أساليب الأفراد التي يستخدمونها في فهم و تحليل الأشياء و محاولة إعادة اختبارها ودراستها لإعادة بناء و تقديرهم لفهم الحياة الاجتماعية و المجتمع الذي يعيشون فيه.

كما و ترجع جذور هذا المدخل إلى التصورات الفلسفية الفينومينولوجيا و الأفكار العامة التي وضعها المفكر الاجتماعي **ألفريد شوتز A. Shutz** فهي محاولة إعادة تحديث أفكار و مسلمات النظرية الظاهراتية، لهذا يتصور البعض من منظري علم الاجتماع أن هذا المدخل يندرج تحت المدخل الفينومينولوجي.[1]

و تقوم الإثنوميتودولوجيا على فكرة كيفية استمرار المجتمع عن طريق الممارسة العلمية الناتجة عن السلوك و الأفعال العقلانية لأعضائه.

و تتركب كلمة **الإثنوميتودولوجيا Ethnomethodologie** من ثلاثة أجزاء:

1. **Ethno** و يراد بها الجماعة أو الشعوب أو مجموعة الأعضاء.
2. **Method** و تعني الأسلوب أو الطريقة أو المنهجية.
3. **Ologie** و تعني العلم.

[1]. نفس المرجع، ص 128.

و عليه فإن الإثنوميتودولوجيا تعني منهجية الجماعة أو المنهجية الشعبية، وسماها البعض منهجية النظام الاجتماعي. و عليه تشير الإثنوميتودولوجيا إلى العلم الذي يهتم بمعرفة المناهج أو الطرق التي يستخدمها الناس أو الشعوب في إعطاء معنى لعالمهم الاجتماعي.

كما أنها تعني طريقه الأعضاء نحو تحقيق شعور أو إحساس عام عن عملهم الاجتماعي، وكيف يسعى الناس لتحقيق إحساس الذوق العام لجميع أنشطتهم اليومية الحياتية، إضافة إلى دراسة الطرائق التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية.

و من وجهة نظر الاثنوميتودوجيا علم الاجتماع هو العلم الذي يدرس الطرق أو المناهج التي يسلكها الأفراد في حياتهم اليومية من أجل تشكيل أنماط سلوكية من أجل التفاعل و التواصل فيما بينهم في حياتهم اليومية.

و يجب أن يكون محور البحث السوسيولوجي فهم الأساليب و المناهج و طرق الوصف التي يستخدمها الأفراد في تصورهم لتشكيل واقعهم الاجتماعي.

- **<u>نشأة الاتجاه الإثنوميتودولوجي:</u>**

نشأ هذا الاتجاه في الستينيات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية. ويشدد هذا الاتجاه على رفضه للطروحات التي تبنتها النظرية الوضعية، التي تعاملت مع الواقع الاجتماعي باعتباره واقعا موضوعيا مستقلا عن ذوات الفاعلين الاجتماعيين.

و ترجع أصول هذه النظرية إلى الاتجاه الفينومينولوجي الذي طوره "**ألفريد شوتز**" في علم الاجتماع. فهذه النظرية عمقت البحوث الميدانية من خلال المنهجية الفينومينولوجية. و لقد استلهم مبادئه من الفلسفة الفينومينولوجية و الفلسفة الوجودية.

لهذا ارتبطت جذور هذه النظرية بالظاهراتية و التفاعلية الرمزية، و من أهم الأسباب التي أدت إلى نشأتها هي أن البنائية الوظيفية لم تعد الإطار المرجعي للتفسيرات السوسيولوجيا بصورة مناسبة لتفسير الواقع، خاصة المجتمع الأمريكي بسبب التناقض بين الرؤية النظرية و الواقع، و عدم الاهتمام بعده قضايا كبرى كالتفرقة العنصرية، هيمنة السلطة السياسية انتشار الأمراض الاجتماعية كالجريمة وغيرها...

و لقد تطورت دراسات الإثنوميتودولوجيا في المؤسسات القانونية أو القضائية المحاكم عن طريق دراسة الاثنوميتودولوجيا الجريمة، و هي نوع من السلوك لانحرافي للأفراد يعمل على تفسير وتحليل السلوك عن طريق المحكمين من هيئه المحلفين.

- **رواد الاتجاه الإثنوميتودولوجي:**

1. إيرون سيكوريل:

و هو أحد رواد النظرية الإثنوميتودولوجيا، و يعتقد بأن مهمة النظرية هي تطوير علم الاجتماع من خلال تفسير كيفية تشكيل الوقائع الاجتماعية عن طريق النظرية والمنهج.

2. ساكس:

الذي تناول الذوق العام للمعرفة، و إدراك البناء الاجتماعي يستلزم تفسير الإحساس و الوعي للتصورات.

3. موهان و وود:

اهتما بدراسة الوقائع الاجتماعية كحقيقة اجتماعية ترتبط بممارسات الذين يحددون بناءات المعنى عن طريق:

- التأملات الناتجة عن الواقع الاجتماعي.
- مكونات المعرفة الاجتماعية.
- التأمل في عملية التفاعل.

كما يطرحان خمسة وجهات نظر تتمثل في:

- الواقع كنشاط تأملي من خلال الأفكار و الأفعال.
- الواقع كبناء المعرفي متماسك و ذلك بتصنيف العالم إلى مجموعة من الوقائع المتماسكة.
- الواقع كنشاط تفاعلي من خلال تفاعل الأفراد المشاركين.
- إمكانية تجزئه الواقع، و الوقائع الاجتماعية ليست بناءات جامدة.
- الوقائع لها قدر على الازدواجية و التنوع من خلال التحرك في فضاء الاجتماعية مختلفة.

- **القضايا التي تقوم عليها الإثنوميتودولوجيا:**

- وجود نظام أخلاقي و هو البناء الاجتماعي المتكون من القيم و المعايير.
- تقبل جميع الأفراد في المجتمع هذا النظام باعتباره مصدرا للحقيقة.
- ترتبط جميع التنظيمات بالنظام الأخلاقي باعتباره الأساس في تفسير الحقائق الاجتماعية.
- قيام الأفراد بتوجيه أفعالهم و سلوكهم متطلبات النظام الأخلاقي.
- يتميز تنظيم الاجتماعي و الأخلاقي بالتغير المستمر.

- **منهج النظرية الإثنوميتودولوجية:**

تهدف النظرية الاثنوميتودولوجيا من الناحية المنهجية إلى جعل الأفعال وسلوكات الأفراد وطرق حدوثها في مواقف اجتماعية معينة قيد البحث و الدراسة و التحليل و التفسير و التعليل،

بالاعتماد على العقلانية عن طريق جمع البيانات الميدانية، و ذلك بدراسة المواقف الاجتماعية وتحليل العلاقات السببية المرتبطة بها.

- **<u>الانتقادات التي وجهت للنظرية</u>:**

من بين الانتقادات التي وجهت لنظرية الإثنوميتودولوجيا أنها ركزت على المشكلة الصغيرة، ولم تتمكن من وضع مقاييس بحثيه متطورة خاصة بها، في هذا تحليلاتها و تصوراتها بقيت غير واضحة، و متناقضة بين تيارين هما تيار دراسة المواقف و دراسة النواحي لغوية.

رغم الانتقادات السابقة إلا أنه يمكن القول بأن المدخل اللإثنوميتودولوجي قد نجح في إعادة دراسة و تحليل الكثير من سلوكيات الأفراد و أساليبهم من أجل الاستفادة من طريقة تنفيذها و الوسائل التي تم عن طريقها اختيار أفعال أو سلوكيات دون الأخرى عن طريق محاولة إعادة أنتاج هذه الأفعال في مواقف معينة يسهل دراستها و تحليلها مرة اخرى بواسطة الأفراد أنفسهم أو أفراد آخرين. و لقد زاد الاهتمام بهذا المدخل مع تطور علم الاجتماع خصوصا و أنه يحاول إعادة اختبار و دراسة و تفسير وتعليل السلوك البشري و فهم الجوانب الغير واضحة منها للأفراد أنغسهم أو للآخرين.

10. المحاضرة العاشرة: نظرية ما بعد الحداثة

تعد نظرية ما بعد الحداثة من النظريات المعاصرة و التي يسعى روادها لحل مشكلات مجتمعنا المعاصر و التي تم الاهتمام بها بعد فشل النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية، و هذا من خلال الانتقادات الموجهة لتلك النظريات.

تمتد فترة **ما بعد الحداثة (Post modernism)** من سنة 1970 إلى سنة 1990م. ويقصد بها النظريات و التيارات و المدارس الفلسفية و الفكرية و الأدبية والنقدية و الفنية و السوسيولوجية التي ظهرت في فترة ما بعد الحداثة البنيوية و السيميائية واللسانية.

و قد جاءت ما بعد الحداثة كرد فعل عن الميتافيزيقا الغربية، التي هيمنت على الفكر الغربي، و تقترن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى و العدمية و التفكيك و اللامعنى و اللانظام. و تتميز نظريات ما بعد الحداثة عن الحداثة السابقة بقوة التحرر من قيود التمركز، و الانفكاك عن التقليد و الانفتاح على الغير عبر الحوار و التفاعل و التناص، مع فضح المؤسسات الغربية المهيمنة. [1]

و نظرية ما بعد الحداثة هي تيار فكري جديد ظهر كرد فعل عن عصر الحداثة الذي نشأ بفعل الثورة الصناعية و ما نتج عنها من مشكلات في كافة المجالات الصناعية و الاجتماعية والثقافية و السياسية و الاقتصادية و حتى البيئية...

[1]. جميل حمداوي: نظريات علم الاجتماع، شبكة الألوكة، المغرب، ط 1، 2015، ص 99- 11.

فبسبب الحداثة و التغير ظهرت مشكلات أصبحت تهدد الحياة البشرية سواء من الناحية المادية بسبب التطور التكنولوجي و الصناعي أو من الناحية المادية بسبب انتشار القيم المادية وتراجع القيم الدينية و الاجتماعية و الفنية. فالحداثة ترفض الدين و تؤمن بالماديات فقط، أما ما بعد الحداثة ترى بأن الدين و المعتقدات هو نتاج ثقافة المجتمع، و للثقافة دور هام في حياة الأفراد و المجتمعات.

فظهر علماء اجتماع ينتقدون عصر الثورة و عصر الحداثة و ذلك بطرح أفكار جديدة عن عصر ما بعد الحداثة، فالفكرة الأساسية لهذه النظرية تقوم على أن العلم والتكنولوجيا خطر كبير على الإنسانية لأنه سيؤدي إلى تدمير المجتمعات، كما أنها ترفض النظريات السوسيولوجية الكبرى ذات النظرة الشمولية التي تناولت النظام الرأسمالي و الشيوعية و التي عممت النظرة الوظيفية و الصراع... و غيرها من النظريات الاجتماعية الكبرى و التي ظهرت في عصر الحداثة و التطور.

و بالتالي نظرية ما بعد الحداثة ترفض مبدأ التعميم لأي نظام أو نظرية و على عكس الحداثة التي تعتقد بأن المستقبل أفضل بفضل العلم و العقل و التكنولوجيا، فإن نظرية ما بعد الحداثة تعتقد بأن المجتمع يسير نحو الأسوء و القادم أخطر بسبب العلم والتقدم التكنولوجي.

- **مفهوم الحداثة:**

الحداثة كمفهوم استخدم من جانب العديد من المنظرين الاجتماعيين أمثال **ماركس و فيبر**، ولقد حاولوا جميعا الإشارة إلى هذا المفهوم تاريخيا للفترة اللاحقة للعصور الوسطى أو العصر الإقطاعي. كما يمكن أن نشير إلى الحداثة للإشارة في إطار تحليلنا للمراحل التاريخية اللاحقة لعصر التنوير و ما تميزت به أنماط التفكير الإنساني و تبنيها للتفسيرات العلمية و العقلانية، و اعتبار كل من العلم و العقل مصدرا للتقدم عن طريق المعرفة المنظمة.

كما يشير مفهوم الحداثة إلى ما يعرف بالحداثة الجمالية الفنية و التي ظهرت نتيجة لمقاومة المظاهر الاستاتيكية و الثقافية فالحداثة مست جميع جوانب الحياة من فنون و صناعة و اقتصاد واستهلاك.

فالحداثة تذهب نحو الفردية و العلمانية و التحول نحو التصنيع و النظام السلعي و التحضر والتحول نحو البيروقراطية و العقلانية و التي جميعها شكلت النظام العالمي الحديث.

- **مفهوم ما بعد الحداثة:**

هو من المصطلحات الأكثر التباسا حيث اختلف حوله نقاد و دارسو ما بعد الحداثة نظرا لتعدد مفاهيمه و مدلولاته، و يعتبر مفهوم "**ما بعد الحداثة**" من أهم المصطلحات التي شاعت منذ الخمسينيات، و لم يهتد أحد بعد إلى تحديد مصدره، فهناك من يرجعه إلى المؤرخ البريطاني **أرنولد توينبي** عام 1954م، و هناك من يربطه بالشاعر و الناقد الأمريكي **تشارلس أولسون** في الخمسينيات، و هناك من يحيله إلى ناقد الثقافة **ليزلي فيدلر**عام 1965. و هناك من يرى بأن ظهور مصطلح ما بعد الحداثة جاء مع **رودولف بانفتز** في عام 1917. [1]

إن مفهوم ما بعد الحداثة يفهم من خلال تحليلات أنصار هذه النظرية، حيث يروا أن المرحلة المعاصرة التي تشهدها المجتمعات الحديثة تتصف بمرحلة ما بعد الحداثة، وخاصة إن هذه المرحلة الحالية تتميز بأعلى درجات التقدم التكنولوجي والصناعي و التي تميزت بتغير جميع المظاهر الحياتية التي يطلق عليها مجتمع ما بعد الحداثة الجديد، تلك المرحلة التي تحتاج إلى الكثير من التحليلات حول ما تم إنتاجه سواء من الناحية التاريخية أو السوسيو ثقافية و الذي نتج عن استخدام التكنولوجيا

[1]. نفس المرجع، ص 100- 101.

الحديثة المتمثلة في الحاسبات الالكترونية و وسائل الاتصال و الإعلام والأشكال الحديثة من المعرفة، والتغيرات التي حدثت على البناءات الاجتماعية والثقافية و الاقتصادية فجميعها شكلت ما بعد الحداثة.

إن مفهوم ما بعد الحداثة في مجال النظرية السوسيولوجية يعد دورا أساسا في تشكيل النظرية الثقافية و الجمالية حيث توجد تحليلات أخرى تميز بين الحداثة و ما بعد الحداثة في مجال الفنون والآداب، و يقول **هارفي** من المؤكد أن الجميع يختلف فيما يقصد باللفظة ما بعد الحداثة ماعدا احتمال أن يكون المقصود بها كونها تجسيدا لرد فعل ضد الحداثة أو انزياح عنها.

- **مفهوم نظرية ما بعد الحداثة:**

نظرية ما بعد الحداثة هي نظرية معاصرة جاءت لتقييم و انتقاد النظريات السوسيولوجية الكبرى، لهذا تعتبر من النظريات النقدية التي تحاول أن تعيد تفسير الواقع الاجتماعي وأنساق الفكر الإنساني الذي تركته مجموعة النظريات السوسيولوجية الكبرى و روادها البارزين من **أمثال ماركس وفيبر و دوركايم** علاوة على تحليل النظريات المعاصرة و محاولة انتقادها من خلال معالجة أطرها التصورية و الفكرية والقضايا الأساسية التي قامت عليها.

كما تهدف نظرية ما بعد الحداثة إلى البحث عن أسس لتفسر المعرفة الإنسانية وإلى حد أصبحت هذه المعرفة ذات طابع عالمي، و قد رفضت هذه النظرية الكثير من الافتراضات و المقولات العامة التي قامت عليها النظريات السوسيولوجية التقليدية و المعاصرة، و خاصة تلك التي أيدت فكرة التماسك و التضامن و التوازن الاجتماعي وأيدت عموما النظريات التي تؤيد أفكار حديثة و متطورة. وتقوم هذه النظرية أيضا على نقد النظريات التي تعتمد على توحيد الموضوعات و مجالاتها الخاصة والتي تعتمد على التصورات المركزية أو الشاملة، لأنها تحرص على تجزئة الموضوعات و جعلها أفكار لا مركزية و تفسيرها في إطارها الاجتماعي و اللغوي.

و يزعم أنصار التصورات ما بعد الحداثة أن المفكرين الاجتماعيين الكلاسيكيين اعتقدوا أن للتاريخ ثمة شكلا محددا و مسارا مستمرا و سيرورة هادفة و أن هذه الأفكار الكبرى قد انهارت و آلت إلى الانقراض في التاريخ المعاصر و أصبحت عديمة المعنى، كما يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه ليس من المحتم على المجتمع البشري أن يسلك المسار الاشتراكي كما كان يرى ماركس، أو أن ينهج النهج العقلاني و البيروقراطي كما توهم **فيبر**.

و يرى بعض المنظرين الحداثيين و ما بعد الحداثيين أن ما يتحكم في عالم اليوم هو وسائل الإعلام و الاتصال الحديثة أن مجتمع ما بعد الحداثة يتسم بدرجة عالية من التعدد و التنوع، و من هنا فإن العالم الذي نعيشه و نشاهده في وسائل الإعلام و الاتصال الحديثة ذاخر بالأفكار و القيم المطروحة للتداول، و لا صلة له بتاريخ المنطقة التي نعيش فيها و كما يقول مجموعة من هؤلاء المنظرين إننا نعيش في عالم تشكل ويعاد تشكيله باستمرار...

و يعتبر **جان بودريار** من أبرز المنظرين في اتجاه ما بعد الحداثة حيث يرى أن وسائل الاتصال الالكترونية قد دمرت العلاقة التي تربطنا بماضينا و خلقت حولنا عالما من الخواء والفوضى، و كان قد تأثر بالماركسية في مرحلة مبكرة من حياته الفكرية، غير أن ثورة الاتصالات و انتشارها قد قلبت في رأيه المقولة الماركسية حول تأثير القوى الاقتصادية على شكل المجتمع رأسا على عقب.

و يرى **بودريار** أن ما يؤثر في حياتنا الاجتماعية أبلغ التأثير هو الإشارات والصور و يستمد **بودريار** جانبا من أفكاره من المدرسة البنيوية و بخاصة الأفكار التي طرحها ساسور بأن المعاني والدلالات تشتق من الروابط بين الكلمات لا من الواقع الخارج و في هذه الأيام التي تهيمن فيها وسائل الإعلام.

و يركز أصحاب ما بعد الحداثة على نقد المجتمع الرأسمالي و المعرفة التي أنتجها و يظهر هذا واضحا في كتابات جين **فرانسو ليوتان وجين بودريلار** في نقد كل منهما لشرعية المعرفة والمجتمع الرأسمالي.

- **عوامل نشأة ما بعد الحداثة:**

- الرد على الحداثة.
- ظهور تيار ما بعد البنيوية .
- ظهور نظرية المجتمع ما بعد الصناعي.

- **رواد نظرية ما بعد الحداثة:**

1. جان بودريارد (Jean Baudrillard) (1929-2007) :

و هو فيلسوف و عالم اجتماع معاصر ذو جنسية فرنسية تعددت إسهاماته كغيره من علماء الاجتماع الفرنسيين المعاصرين، و لقد اشتهر بنقده للتكنولوجيا الحديثة والإعلام و إن كانت تحليلاته توصف كثيرا بأنها تبنت الاتجاه النقدي و لا سيما في حملته ضد الماركسية و غيرها من النظريات السوسيولوجية الكبرى له عديد المؤلفات منها كتاب: "**المجتمع الاستهلاكي**" و كتاب "**نسق الأشياء**". ولقد حاول توضيح مفهوم الحداثة باعتبارها خاصية أو سمة من سمات الحضارة و التي يقصد بها أنها شيئا ضد التقليدية، و حاول توضيح كيفية اهتمام العلماء بفكرة الحداثة كما جاءت في تصورات أنصار ما بعد البنيوية من أمثال **فوكو**.

و في إطار تحليلاته لعمليات التحول من الحداثة إلى ما بعد الحداثة سعى إلى دراسة كيفية تحول المجتمعات من مرحلة الرمزية إلى المجتمعات الإنتاجية، وعالج أيضا قضايا أخرى مثل العمليات و الممارسات الحياة اليومية تلك الثورة على أساليب الحياة، و الخطابات المؤسساتية والاتصال.

و بإيجاز سعى **بودريارد** لتحليل تصورات و أفكار ما بعد الحداثة عندما اهتم بدراسة المجتمع الاستهلاكي، و مظاهر الاتصال، و تحليله لأنماط الإنتاج الرأسمالي، والثقافي، و التكنولوجي، وأنساق الضبط و السيطرة و الثورة المعلوماتية و الأنماط الترفيهية الإعلامية، كما حاول **بودريارد** في إستراتيجية الهلاك أن يصور كيفية تطور المجتمع الحديث نتيجة لعملية تطور محاكاة الأشياء الواقعية كما ظهر ذلك في مرحلة رأسمالية الاستهلاك.

و في الواقع حرص **بودريارد** على أن يركز على عملية المحاكاة ليتصور أن الناس أفقدوا التصور الحقيقي للعالم الذي يعيشون فيه و إن كانت آراء **بودريارد** عن نظرية الاستهلاك و حديثه عن ما يعرف بنهاية التاريخ و اختفاء الإنتاج الرأسمالي، و الوقع الاجتماعي، أو ما حدده بنهاية الواقع الاجتماعي، أو ما يعرف بموت علم الاجتماع، وغير ذلك من أفكار لأن الكثير من آراء **بودريارد** جاءت لتعكس عمليات المحاكاة التقليدية كنوع من مظاهر التحديث أو الحداثة التي تتم بصورة دورية، و تلك الفكرة التي استمدها **بودريارد** من بعض أنصار نظرية ما بعد الحداثة مثل كنتييه الذي تصور أن هناك فترات معينة من تاريخ الجنس البشري تحدد مراحل هذا التاريخ لإعادة ظهور مرحلة تاريخية أخرى أكثر حداثة. فالحداثة تعني مرحلة أو عملية من التغير والتطور و الإبداع، و إن كان **بودريارد** وصف المرحلة الحالية ما بعد الحداثة بأنها تمثل ذلك النوع من نهاية مراحل أو مجتمعات جديدة أخرى. و إن كانت هذه الفكرة (استراتيجية الهلاك) تغلب عليها طابع الغموض و الخيال و البعد الميتافيزيقي في تفسير الواقع الاجتماعي.

2. جون فرانسوا ليوتار (Jean-François Lyotard) (1924-1998):

الفرنسي متخرج من جامعة سربون بفرنسا و هو من أهم رواد ما بعد الحداثة، فقد أنكر الحقيقة مثل: **نيتشه**، و خاصة في كتابه "**حالة ما بعد الحداثة**" **(1979)**. ففي هذا الكتاب، يجادل **ليوتار** أن المعرفة لا يمكنها أن تدعي أنها تقدم الحقيقة في أي معنى مطلق لأنها تعتمد على ألاعيب اللغة التي هي دائما ذات صلة بسياقات محددة. [1]

و يعتبر **ليوتار** من أهم المهتمين بمجال سياسات النقابات العمالية تأثر بآراء الفيلسوف **كانط**، جاء أول مؤلفاته ليتناول الفينومينولوجية عام 1954 أثرت فيه حياته بالجزائر حيث تلقى تعليمه الأساسي لينظم بعد عودته لفرنسا إلى التنظيمات السياسية الاشتراكية.

تعددت مؤلفاته في مجال ما بعد الحداثة و كان من اهتماماته كتابه عن حال ما بعد الحداثة الذي نشر سنة 1984 و مجرد لعبة وصدر عام 1985 و الاختلاف الذي نشر سنة 1988 رفض الأفكار و النظريات التي تقوم على العمومية كما أن إسهامات **ليوتار** قد ركزت على إبراز دور نظرية ما بعد الحداثة و التي شملت جميع تحليلاته المتنوعة كما انتقد بشدة العديد من النظريات الاجتماعية و الاقتصادية والسياسية التي حاولت أن تؤكد وجود نظرية شمولية يمكن بها دراسة جميع أنماط المعرفة. فلقد أخذ حال ما بعد الحداثة برؤية نقدية تحليلية للنظريات الاجتماعية العامة و التي تمثلت في كتابات **ماركس و فرويد**.

إن معالجات **ليوتار** على أية حال لحال ما بعد الحداثة تعكس اهتماماته بدراسة أحوال المعرفة التي توجد في المجتمعات المتقدمة الرأسمالية، و لهذا يؤكد بأن استخدامه لمفهوم ما بعد الحداثة.

---

[1]. نفس المرجع، ص 112.

و لقد سعى **ليوتار** لظهور علم خاص يرتبط بسوسيولوجيا ما بعد الحداثة و إن كان هذا العلم لا يزال في مرحلته الأولى بحسب تصور أيان كريب و لم تتبلور معالمه بصورة واضحة. كما تعكس آراء **ليوتار** حول سوسيولوجيا ما بعد الحداثة من خلال تركيزه على اللغة و المعرفة و الأدب، و هذا ما سعى لتحليله بصورة خاصة في إشارته لظاهرة ثورة المعلومات و التي من خلالها يمكن استخدام المعرفة لدراسة البناءات و النظم الاجتماعية.

3. سكوت لاش:

يرى **لاش** بإمكانية طرح الأفكار والتصورات المرتبطة بالحداثة في إطار نظرية سوسيولوجية معاصرة، و يمكن أن تكون بديلا للنظريات السوسيولوجية التقليدية أو غيرها من النظريات المتعددة الانتماء بين العلوم الاجتماعية و لاسيما الفينمونولوجية أو الاثنوميثودولوجية فلقد حاول أن يعالج في كتابه سوسيولوجيا ما بعد الحداثة كثير من القضايا، و قد سعى لتحديد فيه لتحديد ماهية سوسيولوجيا ما بعد الحداثة حيث تخلى عن الكثير من الأفكار التي طرحها غيره من رواد ما بعد الحداثة و الذين ربطوا الحداثة بالفلسفة و السياسة و الاقتصاد و الأدب و الفنون و أيضا علم الاجتماع. ويحدد سوسيولوجيا الحداثة باعتبار أن العلم يتكون من ثلاث مقولات أو أفكار أساسية مرتبطة بعضها البعض و هي بإيجاز:

- **فكرة التغير الثقافي:**

و ذلك باعتبار أن عملية التحديث ما هي إلا عملية تعكس التباين و الاختلاف الثقافي بينما فكرة ما بعد الحداثة تعتبر العملية التي تهتم بدراسة التباين أو التمايز الثقافي.

- **فكرة النمط الثقافي:**

هذا باعتبار أن الحداثة ما هي إلا حصيلة عملية التكوين الثقافي، أما ما بعد الحداثة فإنها تعالج الجزئيات أو العناصر الداخلية التي تشملها عملية التكوين الثقافي.

- **فكرة الحراك أو التنقل الاجتماعي:**

باعتبار أن هذه العملية ما هي إلا المنتج الخاص بعملية الحداثة و ذلك لارتباطها بالأفراد أو الجمهور الثقافي، أما ثقافة ما بعد الحداثة فإنها تتميز بخصائص وسمات معينة و التي تتميز بها الطبقات والفئات الاجتماعية التي تنوعت بصورة كبيرة خلال مراحل ما بعد الحداثة.

كما أعطى لاش اهتماما ملحوظا بدراسة ثقافة ما بعد الحداثة و خاصة عندما اهتم بمعالجة النظرية النقدية الكلاسيكية و التي جاءت في أفكار مدرسة فرانكفورت.

4. <u>نيكوس ميزليس</u>:

أستاذ علم الاجتماع بمدرسة لندن للاقتصاد له عديد المؤلفات مثل: "**النظرية التركيبية السوسيولوجية**" و الذي نشر سنة 1990، تندرج أهمية تحليلاته تحت نطاق ما بعد الحداثة و لكنها تأخذ منحى آخر عن بقية التحليلات السابقة، فما يتضح من كتابات **ميزليس** مدى حرصه الشديد على العودة إلى النظرية السوسيولوجية التقليدية و المعاصرة.

سعى **ميزليس** لتحليل العديد من الأفكار البارسونزية و حاول أن يصنف إسهامات و نظريات **بارسونز** حول مكونات هذه الفكرة بالإضافة إلى آراء **ماركس** أيضا، كما سعى إلى تحليل العديد من الإسهامات في مجال النظرية الاجتماعية والتي لم تفهم **بارسونز** بصورة كاملة، كما سعى إلى وضع إطار فكري و تصوري يمكن من خلاله إرشاد و توجيه أصحاب النظريات الاجتماعية للعودة مرة

أخرى. و بإيجاز إن محاولة **ميزليس** تعتبر من المحاولات التي يمكن أن نطلق عليها ما بعد الوظيفية أو ما يعرف **بالوظيفية المحدثة.**

- نقد نظرية ما بعد الحداثة:

- لقد جاءت طبيعة ظروف المجتمع السياسية و الاقتصادية و الثقافية والاجتماعية والأدبية والفنية لتعكس حصيلة اهتمامات رواد ما بعد الحداثة. كما أنها لم تظهر من فراغ بل جاءت اهتمامات العديد من روادها لتعكس عدد من النظريات و النزعات السائدة التي كانت خلال الحرب العالمية الثانية و قد جاءت كرد فعل للنزعات التي ركزت على انهيار القيم الثقافية و الجمالية.

- جاءت عملية تتطور نظرية ما بعد الحداثة بصورة تاريخية و هذا ما ظهر من خلال استخدامات هذا المفهوم الذي ظهر في تحليلات عدد من المؤرخين البارزين أمثال "**سيمور فيل**". إلا أن الاهتمام بأفكار ما بعد الحداثة قد تطورت خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بعد ظهور الدراسات السوسيو تاريخية و السوسيو ثقافية، وهذا ما ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في كتابات "**روزنبرج**" في كتابه عن "**الثقافة الجماهيرية**"، و تطورت في تحليلات "**دريكر**" عن تحليله لمرحلة مجتمع ما بعد الصناعة.

- لقد لعبت تحليلات أنصار النظرية النقدية الكلاسيكية و المعاصرة دور بارزا في ظهور ما بعد الحداثة من خلال مدرسة فرانكفورت "**رايت ميلز**" عن الخيال السوسيولوجي.

- كما تطور استخدام مفهوم ما بعد الحداثة خلال الستينيات و السبعينيات وأصبح موضوع اهتمام الكثير من أنصار هذه النظرية الذين وجدوا في الأدب و الثقافة وخاصة النقد الأدبي موضوعا

خاصا لإبراز مرحلة أو مجتمع ما بعد الحداثة. و هذا ما ظهر في مجموعة الثقافات المضادة للثقافات السائدة و يعكس عموما مرحلة التمرد الفكري من جانب مجموعة كبيرة من روادها بمحاولة طرح أفكار و أطر تصورية ومرجعية جديدة تختلف كلية عن مرحلة الحداثة.

- إن كثير من آراء أصحاب النظرية جاءت لتحليل الواقع الاجتماعي و ذلك من خلال إعادة تحليل آراء النظريات السوسيولوجية مثل آراء **ماركس** الأصلية. كما لاحظنا أن بعض الآراء جاءت من منظور تشاؤمي في تحليلاتها للواقع الاجتماعي و هذا ما جاء في آراء **ليوتار** و تصوراته حول استراتيجية الهلاك. بالإضافة إلى ذلك جاءت محاولات بعض رواد نظرية ما بعد الحداثة لتعيد الاهتمام بالنظرية السوسيولوجية و هذا ما ظهر على سبيل المثال في آراء **ميزليس**.

خاتمة

منذ نشأة علم الاجتماع في أواخر القرن الثامن عشر ظهرت معه عدة نظريات سوسيولوجية متنوعة من حيث الطرح التصوري و الأطر العامة للأفكار النظرية التي حاولت من خلالها فهم وتحليل و تفسير الظواهر الاجتماعية و الوقائع الاجتماعية، كما تفرعت المذاهب و المدارس التي تنتمي إلى هذه النظريات كما اختفت نظريات و ظهرت نظريات جديدة لتعكس لنا مدى طبيعة النظرية السوسيولوجية و خضوعها للتطوير و التعديل و التغيير، غير أن في مجملها بحيث حاولت التركيز على دراسة طبيعة المجتمع و المشكلات الاجتماعية التي أفرزتها طبيعة الحياة الاجتماعية.

و على هذا الأساس حاولت النظريات السوسيولوجية التقليدية و الحديثة فهم و تفسير المجتمع، و لقد كشفت التحليلات السوسيولوجية لنظرية علم الاجتماع عن مدى تطور هذه النظريات و تعدد معانيها و مفاهيمها و تصوراتها الفكرية حول القضايا الاجتماعية، و كيف أن هذه النظريات ارتبطت بجملة من الخصائص و الشروط و المكونات التي كانت هي أساس بناء النظرية العلمية بصورة عامة.

إن تنوع النظريات السوسيولوجية يرجع إلى التنوع من حيث طبيعة الاتجاه الإيديولوجي و النسق الفكري التصوري و المعرفي الذي انطلقت منه هذه النظريات، فالفكر الإيديولوجي في المجتمع البشري لم يستمر على نمط واحد بل حدث فيه نوع من الصراع الفكري و التضارب في الآراء تارة و التقارب في الأفكار تارة أخرى والالتقاء بين الأفكار الإيديولوجية المتصارعة، و هو الأمر الذي حدث مع النظريات السوسيولوجية الحديثة التي كشفت عن طبيعة و مكونات النظرية السوسيولوجية في الوقت الراهن من أجل تعزيز أهداف علم الاجتماع لا سيما دراسة المجتمع بصورة علمية مدروسة و العمل على تطوير مناهج و طرق البحث المختلفة لهذا العلم.

المراجع

1. ابراهيم عيسى عثمان: **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط 1، 2008.
2. إدموند هوسرل: **فكرة الفينومينولوجيا**، تر: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية للتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2007.
3. إدارة المناهج: **مدخل إلى علم الاجتماع**، مركز المناهج التعليمية و البحوث التربوية، وزارة التربية و التعليم، دولة ليبيا، 2014.
4. جميل حمداوي: **نظريات علم الاجتماع**، شبكة الألوكة، المغرب، ط 1، 2015.
5. حسين إبراهيم عبد العظيم: **النظرية السوسيولوجية: قراءة في فكر الرواد والاتجاهات الكلاسيكية**، مكتبة دار الأصول، بني سويف، مصر، 2017.
6. زيدان عبد الباقي: **التفكير الاجتماعي نشأته و تطوره**، دار الغريب للطباعة، القاهرة، 1981.
7. سمير نعيم أحمد: **النظرية في علم الاجتماع: دراسة نقدية**، دار الهاني للطباعة والنشر، مصر، 2006.
8. عبد الباسط عبد المعطي: **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.
9. عبد الرحمان المالكي: **مدرسة شيكاغو و نشأة سوسيولوجيا التحضر و الهجرة**، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2016.
10. عبد العزيز مباركي: **الفينومينولوجيا و فلسفة الوعي عند هوسرل**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية، المجلد 12، العدد02، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر، 2020.
11. عبد الله محمد عبد الرحمن: **علم الاجتماع النشأة و التطور**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
12. عبد الهادي محمد والي: **تاريخ التفكير الاجتماعي**، منتدى سور الأزبكية، الإسكندرية، 2006/2005.

13. عصام محمد منصور: **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2016.

14. علي ليلة: **بناء النظرية الاجتماعية: الافتراضات النظرية و العلاقة بالواقع الاجتماعي**، المكتبة المصرية للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن، (بدون تاريخ).

15. فاروق عبد المعطي: **أوجست كونت: مؤسس علم الاجتماع الحديث**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

16. فيليب ريتو: **الدروس الأولى في علم الاجتماع**، تر: محمد جديدي، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2015.

17. فيليب كابان، جان فرانسوا دوروتيه: **علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية أعلام و تواريخ و تيارات**، تر: إيناس حسن، دار الرفقد للطباعة و النشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط 1، 2010.

18. لطفي عبد الحميد: **علم الاجتماع**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1981.

19. محمد سعيد فرح: **قراءات في التفاعلية الرمزية بقلم مجموعة من العلماء**، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، مصر، 2010.

20. محمد محمود الجوهري: **المدخل إلى علم الاجتماع**، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان، ط1، 2010.

21. محمود عودة: **أسس علم الاجتماع**، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، (بدون تاريخ).

22. موريس أنجرس: **منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات علمية**، تر: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2004.

الملاحق

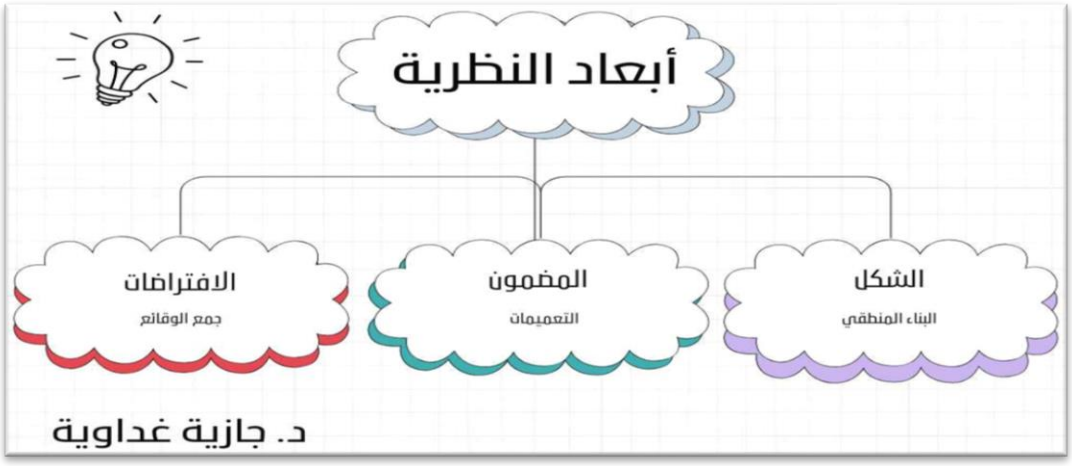

الملحق 1: أبعاد النظرية السوسيولوجية

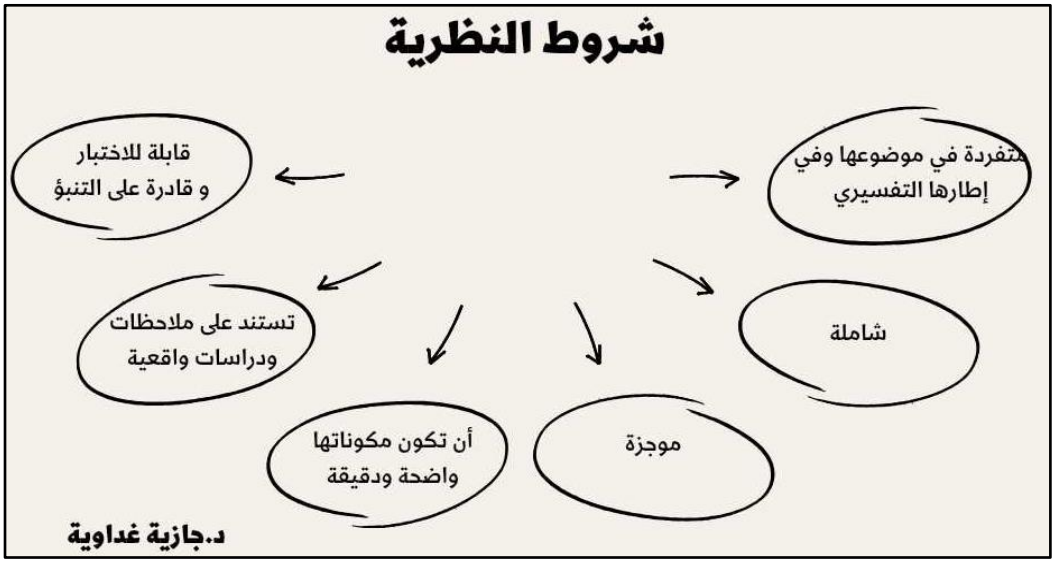

الملحق 2: شروط النظرية السوسيولوجية

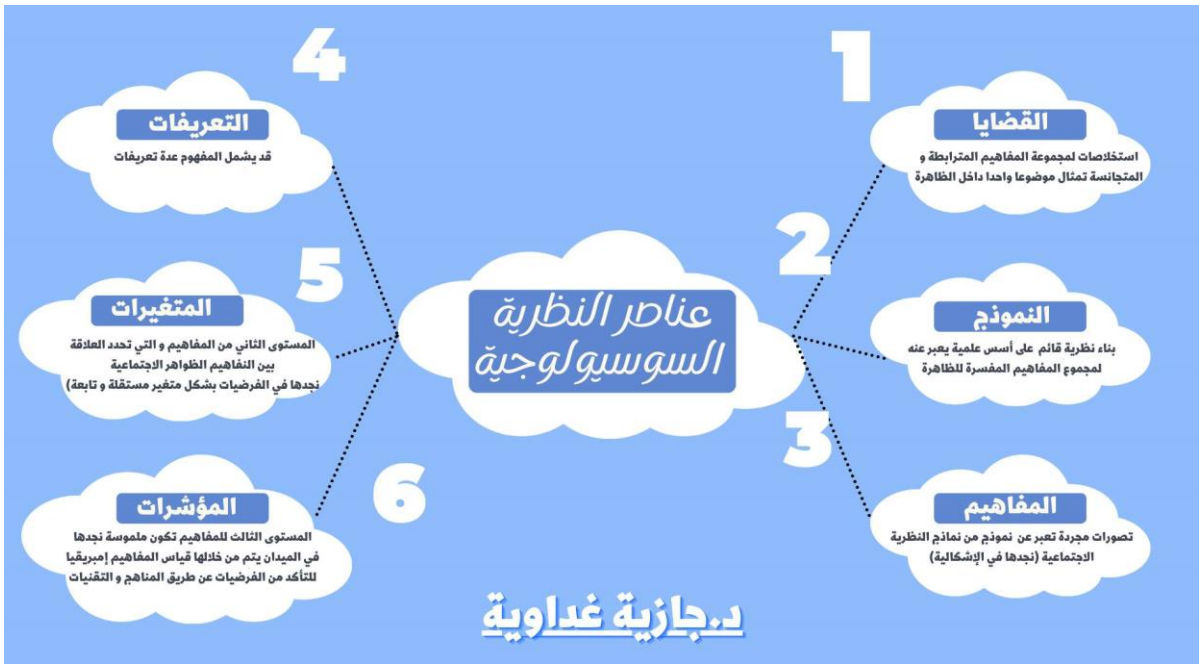

الملحق 3: عناصر النظرية السوسيولوجية

الملحق 4: الجذور الفكرية لنشأة النظرية السوسيولوجية

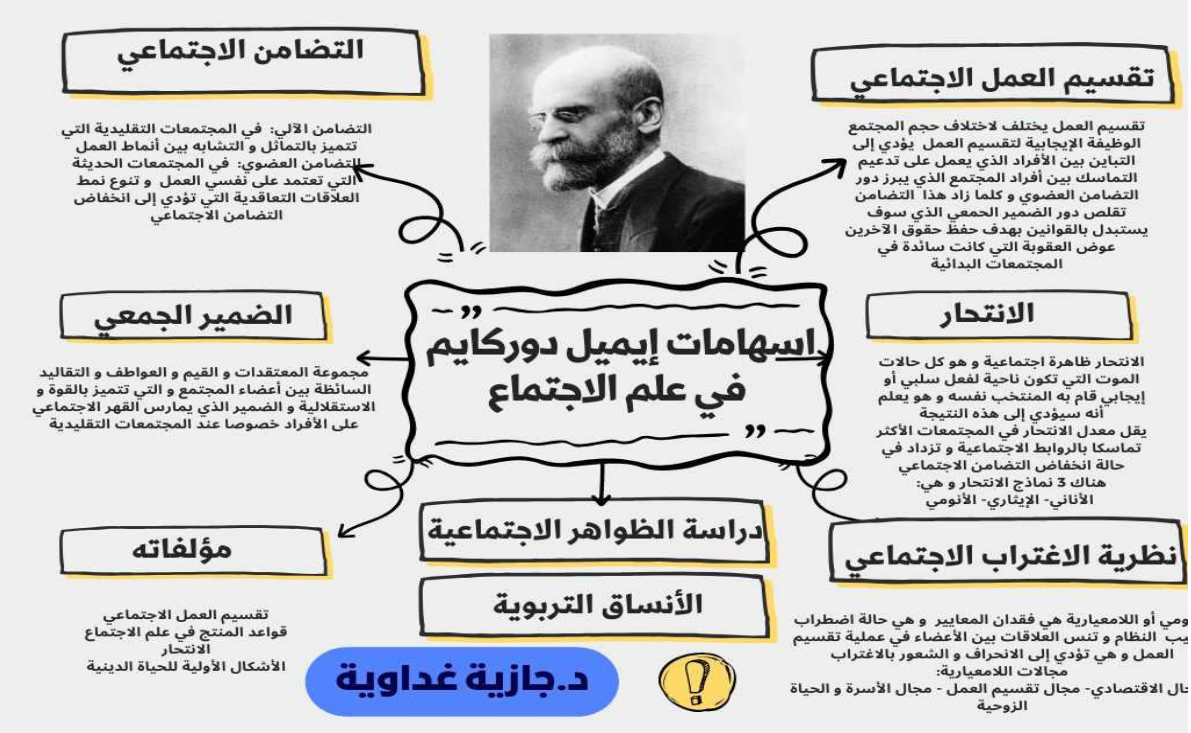

الملحق 5: إسهامات إيميل دوركايم في تأسيس النظرية السوسيولوجية

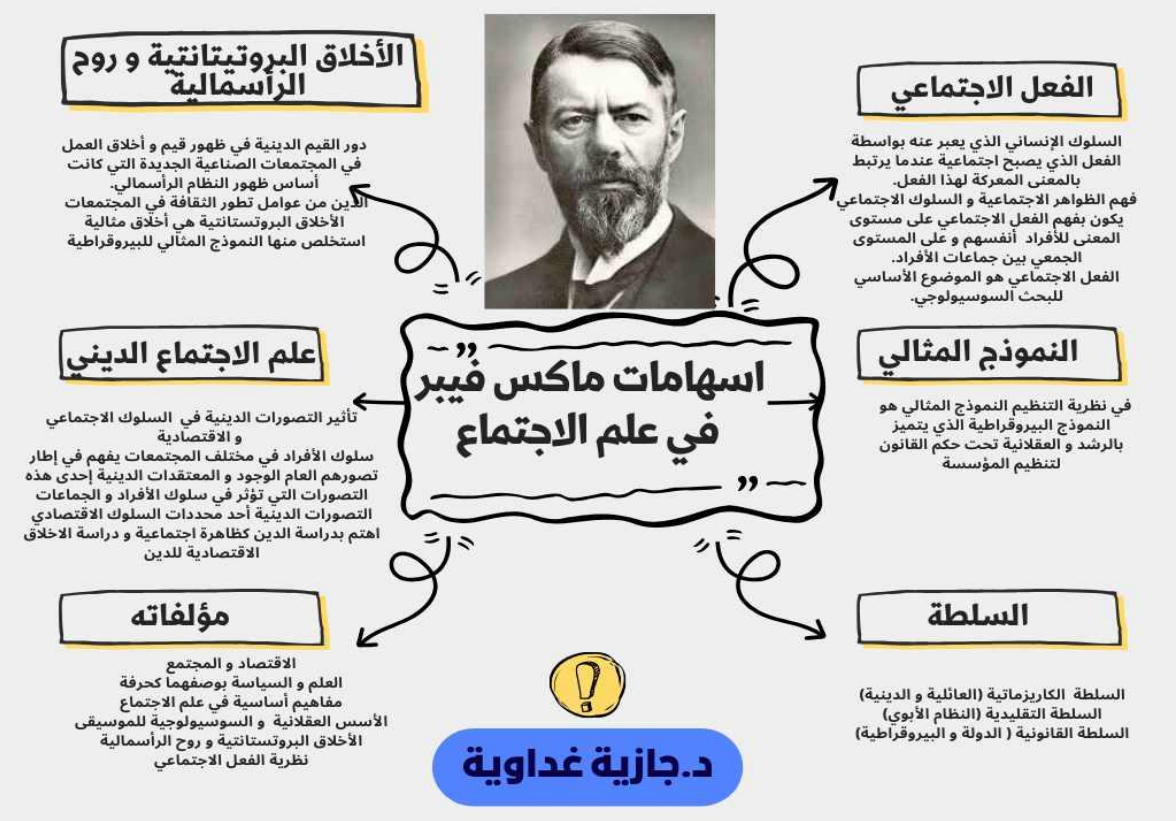

الملحق 6: إسهامات ماكس فيبر في تأسيس النظرية السوسيولوجية

الملحق 7: المفاهيم الأساسية للنظرية الوظيفية

أوجيست كونت

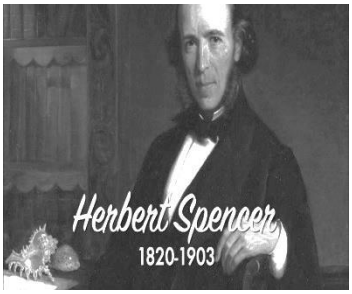

هربرت سبنسر

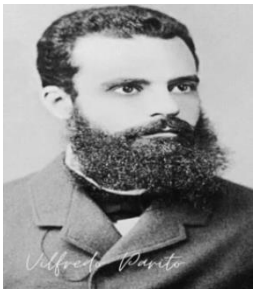

فلفريدو باريتو

برونسيلاف مالينوفيسكي

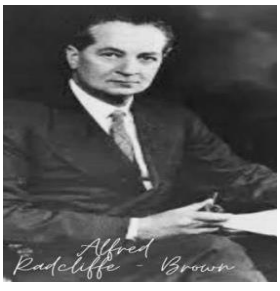

ألفريد راد كليف براون

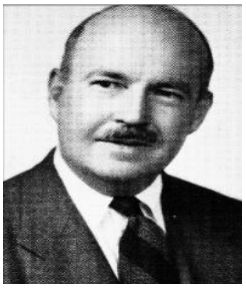

تالكوت بارسونز

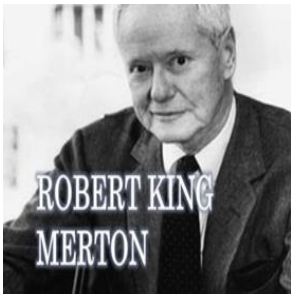

روبرت ميرتون

الملحق 8: رواد النظرية الوظيفية

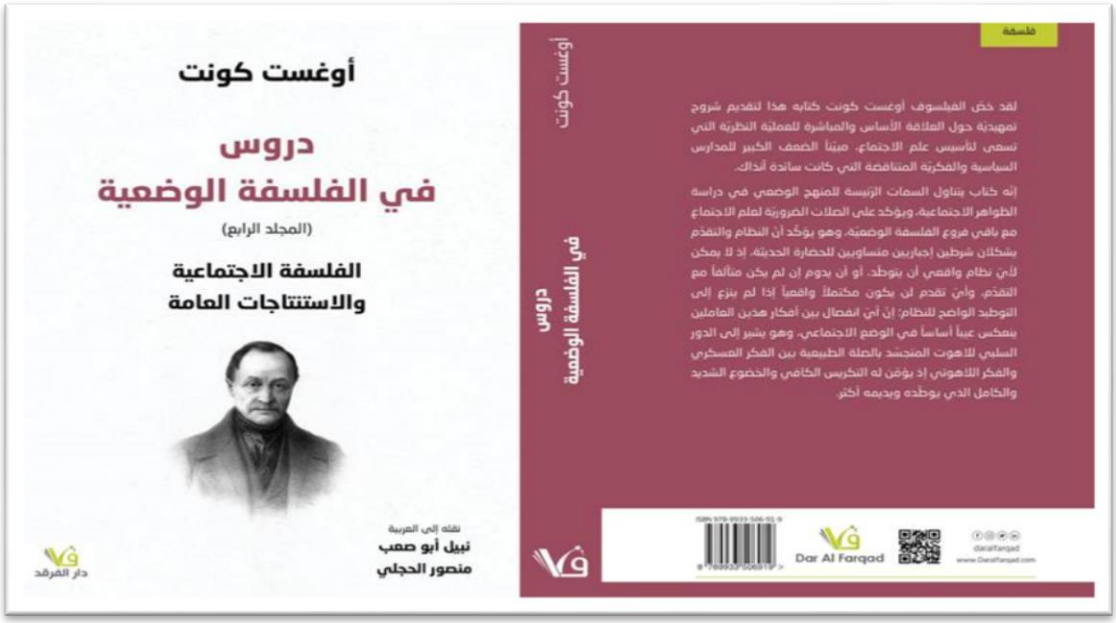

الملحق 9: كتاب الفلسفة الوضعية لأوغست كونت

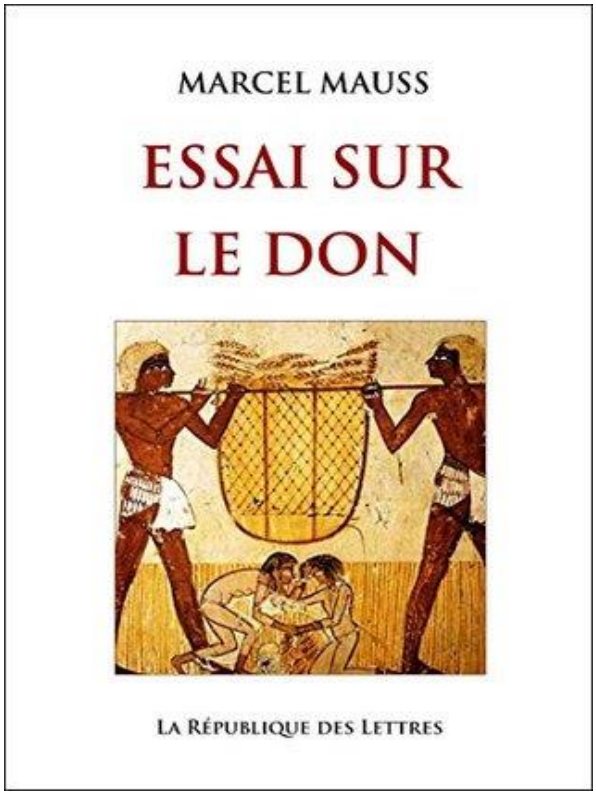

الملحق 10: كتاب الهدية لمارسيل ماووس

عبد الرحمن ابن خلدون

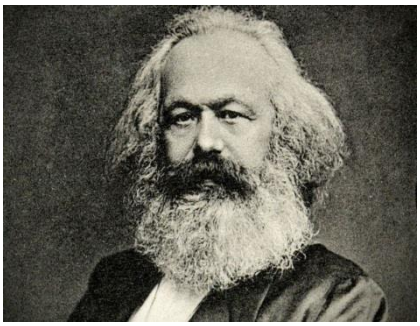

كارل ماركس

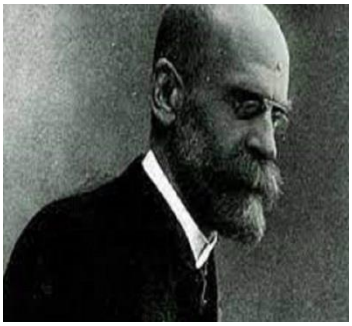

إيميل دوركايم

ماكس فيبر

<u>الملحق 11:</u> صور لبعض رواد النظرية السوسيولوجية